علاء فلاح الدراجي

رحلتي مع النفس

رواية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾)

الشمس

إهداء

الى بقية الله في أرضه

الى ابن الشموس الطالعة والاقمار المنيرة

الى المعد لقطع دابر الظلمة

الى المنتظر لاقامة الامت والعوج

الى المرتجى لازالة الجور والعدوان

الى المدخر لتجديد الفرائض والسنن

الى المتخير لاعادة الملة والشريعة

الى المؤمل لاحياء الكتاب وحدوده

الى مقام سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان(ع)

المقدمة

لا تخفى الغاية من خلق الانس والجن في هذا الوجود العظيم فقد ورد ذكرها في كتاب الله الكريم الا وهي العبادة فتوافدت الرسل والانبياء والاوصياء من قبل الله تعالى لإجل ان تثبت وتؤسس أركان وقواعد تلك الغاية في شتى المجالات والقت الحجة على جميع المجتمعات ان سيروا في هذا الطريق المعبد الا وهو الدين القيم والذي بدوره يهذب الانسان ويوصله الى بر الامان المنشود وما ان أفصح حجج الله بتلك الغاية حتى قتّلوا ومقّتوا واستبعدوا من قبل الناس تلك النزعة النفسية المتولدة من الجهل المطبق حالت دون فهم رسائل النجاة التي ارسلها الله تعالى عبر رسله ولكن الجانب المشرق نرى فيه أتباع مخلصين قد وطّنوا أنفسهم لتقبل الدين ووحدانية الله تعالى والالتزام بتعاليمه على مر العصور وهنا تكون نقطة الافتراق ويخرج هذا التساؤل هل أنا من الذين صار همهم في الدنيا هو تحصيل الراحة لانفسهم والذين يسعون لها بأي وسيلة كانت حتى وان صارت بالضد من التعاليم الالهية؟

نعم فإن مخالفة الدين وعدم التقيد بتعاليمه ناتج من تلك النزعة النفسية التي تريد الراحة وعدم الالتزام والتقيد هي نفسها الرغبة الجامحة في النفس التي تأخذ ولا تشبع وشعارها هل من مزيد حتى صيّرت هذه النفس الكثير من الناس عبيدا لشهواتها وميولها وأسرتهم بقفص غرائزها وغوائلها فجعلت الدين أمرا ثانويا وليس أساسا ومنهجا منه ينطلق الانسان في عباداته ومعاملاته وجميع تصرفاته وأفعاله في الحياة فأصبح الكثير من الناس كل همهم تحصيل ما يريدون وما تشتهيه انفسهم حتى صاروا على فئات ثلاث عالم رباني فهم حقيقة وجوده وغاية خلقه وطالب متعلم على سبيل النجاة وطّن نفسه لتعلم ما ينجيه من مزالق هذه الدنيا وغوائل الشيطان والنفس والفئة الثالثة همج رعاع ينعقون وراء كل ناعق اتبعوا ماتمليه عليهم انفسهم وشياطينهم خسروا الدنيا والاخرة

وباب النجاة من هذه الدنيا التي جعلها الله دار امتحان واختبار لعباده تكمن في معرفة الحق واتباعه والتمسك بالتعاليم الدينية وبالخصوص جهاد النفس الذي عبر عنه النبي الاكرم (ص) بالجهاد الاكبر والذي يمثل ما

جاء به النبي (ص) عندما قال انما بعثت الاتمم مكارم الاخلاق اذن المحتم على الانسان ان يفهم نفسه ويعرفها ويجاهدها بترك ما تشتهيه ويخالف ميولها الشهوية والغضبية والوهمية وهناك يصبح الانسان اكيس الكيسين قال امير المؤمنين (ع) سمعت رسول الله (ص) يقول: ألا اخبركم بأكيس الكيسين واحمق الحمقى؟

قالوا: بلى يا رسول الله

قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وان احمق الحمقى من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأماني فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكيف يحاسب الرجل نفسه؟

قال: اذا اصبح ثم امسى رجع الى نفسه فقال يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود اليك أبدا والله تعالى يسألك عنه فيما أفنيتيه فما الذي عملت فيه؟

أذكرت الله ام حمدتيه؟ اقضيت حوائج مؤمن؟ انفست عنه كربه؟

احفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ اكففت عن غيبه أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلما؟ ما الذي صنعت فيه؟....

هذا وقد كتبت هذه الرواية التي بين يديك ايها القارئ العزيز وقد ذكرت فيها بعض السلوكيات الاخلاقية واشرت فيها اشارات مجملة عن النفس الانسانية وطريقة علاج ميولاتها وما تمليه على الانسان بإسلوب سلس وبسيط خالي من التعقيد وأطمح وأسعى أن اكون من المتقيدين بتعاليمها والمطبقين لما ذكر فيها وأسال الله ان يتقبل هذه البضاعة المسجاة ويتصدق على عبده الفقير انه المنان بالعطيات على أهل مملكته ويرزقني بذلك القرب منه وهجران الدنيا الفانية وزخرفها.

علاء الدراجي

٢٦/ صفر/١٤٤٢

الفصل الاول :

الشرارات الثلاث

كان ملهما ذلك اليوم الذي أخذت فيه حياتي منحاً آخر حيث كان مليئا باللذات والعقبات ولا أعرف كيف أصف ليلته التي سمعت فيها أصواتا تصدع في رأسي

عندما كنت في غرفتي المظلمة مستلق على السرير والتي اشعرتني بخوف لا أعلم ما منشأه ولكن تداركت نفسي حينما تذكرت أنني في ظهيرة اليوم تكلمت مع أصدقائي حول موضوع إبليس وكيف فعل فعلته وتجرأ في تلك اللحظة

فأخذت تعصف بي الأفكار حول ذلك العالم الذي إستشعرت معانيه في وجداني ورسمت صوره في مخيلتي فحملتني بقارب التفكر الذي سار بي في بحار تتلاطم امواجها تأخذني يمينا وشمالا

تملكتني الرغبة بالغوص في تلك البحار المظلمة علني أجد نورا أستضيئ به

وإذا بي ارى ذلك العبد (عزازيل) الذي عبد الله آلاف السنين والذي خلق من مارج من نار حيث الخلائط المتعددة من النار وأخصها نار السموم

قد كان مضطربا ومرتبكا تتلجلج في صدره كلمات الزيغ والضياع

رأى بعينيه هيكل من صلصال كالفخار يخلق امامه وهذا الهيكل ليس من جنسه ولا من جنس الملائكة لانه من النار والملائكة من النور بينما ذلك المخلوق قد خلق من طين لازب

فتسائل هذا العبد في نفسه ما ذلك الشيء؟ ولماذا خلق الله تعالى ذلك المخلوق؟ وماذا سوف تكون وظيفته؟

وبينما التساؤلات تثار في خاطره حول ذلك المخلوق أتم الله صنعه ونفث فيه من روحه فدبت الحياة في جسد ذلك المخلوق الطيني وأصبح يتحرك

وفي تلك الاثناء كانت الملائكة والعبد ينظرون الى ذلك الحدث حيث خلق الله تعالى مخلوقا جديدا

فتهامست الملائكة فيما بينها ماذا سيخلق الله تعالى وهل سيخلق مخلوقاً آخر؟

خاطبهم العبد قائلا :

- لننتظر قليلا ونرى ماذا سيخلق الله تعالى

مر وقت قصير وإذا بالله قد خلق مخلوقا أطلق عليه مسمى النفس وجعل فيها قوى تتروض بها للخير والشر فإما تتروض بها لمراتب تصاعدية أو مراتب تسافلية وكل مرتبة تكون البيئة التي يحاط بها صاحبها وتقيده بقيود حالاتها وانفعالاتها

وضع الله تعالى النفس في ذلك المخلوق وخلق بعدها مخلوقا ثالث وسماه القلب فجعله مرآة أفعال ذلك المخلوق وبه يتبصر وما كان في النفس دآخلا أخرجه على هيئة أفعال وتعابير في ذلك الجسد

ثم خلق مخلوقا رابعا وأطلق عليه مسمى العقل فأدخله بإختبار وخاطبه قائلا بعد إختباره :

- بك أعاقب وبك أثيب

وجعله قبطان تلك السفينة البشرية والمسؤول عن ميولات النفس والجسد فهما يسيران على ما يمليه عليهما

وبعد كل ما جرى رأت الملائكة والعبد أن الله تعالى يتلو على هذا المخلوق أسماء

نظرت الملائكة بإستغراب ودهشة الى العبد وهو ايضا ينظر اليهم فتسائلوا فيما بينهم يا ترى ما هذه الاسماء التي يتلوها عليه؟

فعقدوا على ذلك جلسة وتشاوروا فيما بينهم وبعدما أتموا المشاورة قالوا لله تعالى :

- نطمح أن يسمح لنا ربنا وخالقنا بان نقول مقالنا حول هذا المخلوق

سمح الله لهم بالحديث فقال ملك عظيم الهيئة :

- مع جل احترامي وعبوديتي لك يا الهي ولا إعتراض على فعلك ولكنا نعتقد أن هذا المخلوق سوف يفسد في ذلك العالم كما فسد اللذين من قبله [1]وهذا رأينا نحن الملائكة ارقائك وعبيدك الطائعين

فخاطبهم الله قائلا :

[1] في تفسير العياشي عن الصادق (ع) قال: ما علم الملائكة بقولهم: اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لولا أنهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء.
وتوجد آراء اخرى في التفاسير حول موضوع علمهم

- إني اعلم ما لا تعلمون فقد علمته أسماء حججي وسوف أعرضهم عليكم فانبؤني باسمائهم إن كنتم صادقين[2]

فعرض الله انواراً على الملائكة فما كان جواب الملائكة إلا أن قالوا :

- سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

وبعد قولهم قال الله تعالى إلى هذا المخلوق:

- إني سميتك آدم فانبئهم بما علمتك من الاسماء

فأنبئهم آدم بها وبعدما أتم كلامه خاطبهم الله قائلا:

- ألم أقل لكم اني أعلم ما لا تعلمون فعندما خلقته كنت أعلم أنكم ستفكرون بهذا الامر وها قد إطلعتم على ما إلتبس عليكم فآمركم أن تقعوا له ساجدين

فسجد الملائكة كلهم لآدم طاعة وامتثالا لأمر الله إلا

[2] في المعاني عن الصادق (ع) : إن الله عز وجل علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة.....
وفي بعض الروايات انه علم آدم اسماء جميع المخلوقات من حجر ونبات وغيرها

ذلك العبد(عزازيل) فقد كان يسمع ويرى كل ما يجري لكنه بلس من الرحمة والخير فخاطبه الله تعالى:

- مالك يا إبليس خالفت أمري ولم تسجد مع الملائكة؟ فما كان جواب إبليس إلا أن قال :
- أتريدني أن أسجد لهذا المخلوق الضعيف خلقتني من نار وهي طاقة أفضل وأسمى من هذا المخلوق الضعيف الذي خلقته من صلصال من حمإ مسنون **أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا!!!** [3]

صُعقَ الحضور وفزعوا لما سمعوا من كلام فاحش في حضرة الله فاندهشوا جميعا وتهامسوا فيما بينهم فقالوا:

- ماذا دهاه أجن!! وهل يتكلم بكامل وعيه!! كيف يعصي أمر الله ويتكلم بهذا الكلام؟ يا ويله من غضب الله
- وبينما تتهامس الملائكة فيما بينها حول هذا الحدث الغريب عليها والتي لم تعهد مثله مذ خلقت

خاطب الله تعالى إبليس غاضبا :

[3] الاسراء / ٦١

- يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين أفسقت عن أمري وأصبحت من المتكبرين فما **مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** [4] اهبط يا إبليس من هذه الجنة التي وضعتك فيها[5] فما يكون لك أن تتكبر فيها فإخرج إنك من الصاغرين

صعقت الملائكة من هذا الكلام المخيف والمهوول فدخلت في دوامة الحيرة والذهول الى ان عم الهدوء فتنصتت الآذان منتظرة إبليس ماذا سيقول؟ وهل سيرد على كلام الله؟ الذي إذا انزل على جبل لتصدع خشية منه ولن يتحمل كلمة من كلماته

نعم إبليس يحرك شفتاه يريد ان يتكلم

فخاطب الله قائلا:

- **ربِ فأنظرني الى يوم يبعثون** [6]

---

[4] سورة ص / ٧٥

[5] انقسم المفسرون على قسمين في تفسير (منها) القسم الاول يقول المرتبة والمنزلة والقسم الاخر يقول الجنة او السماء التي كان ابليس فيها

[6] الحجر/ ٣٦

ما ان قال كلماته حتى عقدت الملائكة مجلسا كبيرا فقال ملك له من الاجنحة ما لا تعد ولا تحصى ويحمل نورا مشعا :

- هل سيستجيب الله تعالى لطلبه؟ وقال آخر:
- وكيف يستجيب له بعد ما فعل فعلته النكراء؟ قال ملك آخر ولماذا لا يحقق طلبه؟ أليس الله بارحم الراحمين واكرم الاكرمين وكتب على نفسه العطاء

فصاح ملك عظيم لا يرى منه الا رجلاه لطوله وقد هز المجلس بكلماته :

- مالكم كيف تحكمون فالحكم حكم الله تعالى وأمر إبليس بيده كيف ما شاء فعل ولا فائدة ترتجى من هذا الحديث وبينما هم كذلك قال الله لإبليس :
- انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم

سر إبليس لهذا العطاء فإستنشق نفساً عميقاً ثم قال خطابا هز فيه كيان الملائكة:

- فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين [7]

انصعق الحضور من هذا الكلام الفاحش فنظروا بعين التعجب والدهشة وصاروا يتمتمون فيما بينهم ماذا يقول إبليس! وكيف سيكون رد الله عليه؟ والكل ينتظر بهذه المشاعر التي تتخبطهم وهذا الحدث الذي زلزل تفكيرهم وراحوا يتسائلون كيف سيكون عذابه؟ وهل إبليس بتمام وعيه عندما تفوه بهذا الكلام؟ وهل كان على دراية عندما عصى ولم يسجد لآدم؟

له الويل على ما فعل، وبينما هم في هذا الخليط الذهني الذي أنهكهم خاطب الله إبليس قائلا :

- اخرج يا إبليس منها مذموما مدحورا ولاملأن جهنم بك وبمن إتبعك

فأهبط الله تعالى إبليس من مكانته ودرجته وخلق بعد ذلك من نفس آدم مخلوقا مشابه لآدم ببعض خلقه

[7] الاعراف / ١٦ - ١٧

ويختلف عنه ببعض وكان هذا المخلوق انثى من جنسه وبعد إنتهاء خلقها قال الله تعالى :

- يا آدم ادخل أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

فكانت هذه الشجرة بمثابة اختبار لآدم

وفي هذه الجنة تنعم آدم وزوجه إلى أن قرب الحدث الذي سيكون الثاني والذي لا ينسى فبعد الشرارة الاولى التي اطلقها إبليس سوف يطلق هذه الشرارة بنفس آدم ويزينها له لانه كان ثالثهما في هذه الجنة وإذا به يوسوس لهما فقال:

- **مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**[8]
- فقالا له :
- وما شئنك بنا
- إني لكما من الناصحين
- إن كنت كما تقول دلنا على هذه الشجرة

[8] الاعراف / ٢٠

فدلاهما بغرور ولما ذاقاها سقط ما كان عليهما من لباس الجنة وبدت لهما سؤاتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة خجلا وفي الاثناء خاطبهما الله فقال :

- ألم انهاكما عن تلكما الشجرة وقلت لكما إن إبليس لكما عدو مبين فقالا:
- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
- اهبطوا بعضكم لبعض عدو

ولما هبطوا ما لبث ابليس ساكنا حتى أطلق الشرارة الثالثة والتي تكون مبدأ كل شر في هذا العالم فالشرارة الاولى كانت بين إبليس والله تعالى والثانية بين إبليس وآدم وزوجه وهذه الثالثة بين إبليس وقابيل وهابيل ابني آدم وبينما انا غارق في هذا الخليط من الاحداث في رأسي سمعت صوتا ينادي من بعيد هادي هادي ويكرر باسمي حتى قرب الصوت أكثر وإذا به صوت أمي فناديتها:

- نعم يا امي تفضلي انا اسمعك

كانت خلف باب غرفتي فقالت:

- قم يا عزيزي لقد حضرت لك الطعام
- نعم يا امي سأئتي حالا

الفصل الثاني :

عناء ومشقة

شعور مفعم بالحيوية والنشاط تحت أشعة الشمس الدافئة في هذا الصباح وأنا متجه كالعادة الى عملي بدار الطباعة والنشر الكائن في حينا الجميل المسمى بحي الزهور وسبب تسميته بهذا الاسم هو كثرة الحدائق والازهار فيه، وبينما اسير في الطريق تجسدت في مخيلتي بعض الصور التي حدثت في الأمس وكانها تعلقت على جدارن ذاكرتي، وعند وصولي الى مكان عملي شرعت كالمعتاد في الطباعة لكن مهلاً!!

فقد وقعت عيناي على كلمات اخترقت عقلي وقلبي يا الهي ما هذه المعاني التي تحملها هذه الكلمات فقد كان الكتاب الذي اعمل عليه كتاب تفسير القرأن الكريم وصرت طيلة الوقت اردد بهذه الاية وأتأمل بها حتى حفظتها فكلماتها قد اقشعر لها بدني

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)[9]

[9] النازعات

عجبا كاني اول مرة اقرأ هذه الاية ألم أمر يوما عليها في القرأن؟ أم أن قرائتي كانت سطحية ولا أنتبه واتامل لما اقرأه، لك الشكر يا الهي دائما ما تذكرني وتنبهني طيلة عمري الذي بلغ خمس وعشرون ربيعا

لكنني مغرور قد تزينت لي الدنيا تلك العجوز الفانية وأظهرت لي مفاتنها وكشفت لي عن ردائها الناعم فصرت أركض خلفها ملهوفا وأخطو بخطواتها مغلوبا حتى جعلتني عبداً طائعا لها فقلت في نفسي انك شقي يا هادي فقد وقعت في شراكها وتلبست بلباسها أتذكر أعمالك القبيحة التي فعلتها وكنت غارقا في بحار غفلتها لا تسمع ولا ترى وبينما انا على هذا الحال استرجع ذكريات الماضي البائسة التي اشعرتني بحقارة نفسي ودنوي مكاني ولؤمي سمعت صوت رنين هاتفي فرفعت السماعة وبعد القاء التحية بادرني بتعريف نفسه قبل أن أسأله فقال:

- أنا رسول الذي أعطيتك كتاب التفسير لكي تطبعه
- نعم عزيزي تذكرتك تفضل بماذا أساعدك
- هل أكملت طباعة الكتاب
- غدا يكمل إن شاء الله لكن هل لي بسؤال لو سمحت

- بكل سرور تفضل
- من صاحب هذا التفسير؟
- صاحبه استاذي الزاهد
- قلت استاذي؟
- نعم فأنا ادرس عنده منذ زمن بعيد فقد كنت غارقا في مستنقع الجهل والغفلات لكن سرعان ما منّ الله علي به حتى انتشلني من ذلك المستنقع النتن والحمد لله على ما هداني فالان تنورت بنور العلم والمعرفة
- هل لي بطلب يا أخي رسول
- نعم تفضل
- هل تستطيع أن تقدم لي معروفا بان تحدث الزاهد عني لكي القاه فأنا أيضا غارق في مستنقع الجهل والغفلات واريد أن انتشل منه
- بكل سرور أخي عندما آتي غدا لأخذ الكتاب سوف ارد لك جوابه
- شكرا لك على هذا الجميل أستودعك الله

وفي اليوم التالي استيقضت مبكرا والشوق يعتصرني كأنه بركان يكاد أن يثور في أي لحظة فهو لا يزال متوهجا في داخلي منذ اتصال يوم امس نهضت من

السرير وانجزت اعمالي المعتادة كل يوم بعد الاستيقاض من استحمام وتناول الافطار وفي الاثناء اعتراني التوتر وبدأت اثار الارتباك تطرأ علي كلما تصورت اللحظة التي سوف القاه فيها ما اذا وافق على طلبي فبدأت الافكار تراودني ماذا سوف أقول؟ ومن سيبدأ الحديث؟ وهل سأطرح عليه السؤال أولاً أم هو من سيبادرني بالتساؤل؟

كيف سيكون شعوري في تلك اللحظة؟ وهل سيتلكأ لساني وأترك الكثير من الاسئلة التي تجول في خاطرتي بسبب الخجل الذي قد يعتريني؟ وبينما أنا غارق في هذه الدوامة ومتخبط بها وقع تحت ناظري مشهد اقشعر له بدني فقد اشعرني بالقوة والعزم

رأيت تلك البعوضة المسكينة التي وقعت في شراك.

ما هذا الصوت؟! نعم انه صراخ قادم من الخارج ونداء استغاثة خرجت مسرعا من المنزل واذا بي ارى جاري ابا مصطفى الذي عانى ما عانى من أجل أن يرى ابناه مصطفى ومحمود قد تخرجا من الجامعة فقد كان يعمل حارسا في الليل بأجر زهيد في سوق الحي

مع كبر سنه لكي يقدم لولديه ما يستطيع من المعونة لإجل ان يكملا دراستهما

واذا بمنزله يتطاير منه الشرر فرايت الناس قد

اجتمعوا ليطفؤا بيت ابا مصطفى فهذا يحمل دلو ماء وذاك يحمل قنينة الاطفاء اقشعر بدني من المشهد فتوجهت مسرعا الى ابي مصطفى الذي افترش الرصيف لجسده وراح يضرب على رأسه بيديه النحيلتين والجزع أخذ منه مأخذه ناديته بصوت عال ابا مصطفى اين مصطفى ومحمود وام مصطفى ورحت اكرر سؤالي عليه لكنه لا يسمعني ولا يعي ما أقول بسبب الصدمة التي شوشته كان في تلك اللحظة جسد بلا روح الحي منه دموعه التي تنهمر كانها زخات المطر على لحيته البيضاء من شدة البكاء وصراخه اللذان أشعراني بأنه حي صرخت باذنه ابا مصطفى افق وكلمني ارجوك كلمني نعم اراه قد رفع رأسه الذي كان لا ينزاح عن الارض من شدة الجزع الذي كان به نظر الي نظرة هزت كل ذرة في بدني تلك النظرة التي لا تكاد تنفك من ذهني لحظة فقد كانت نظرته نظرة الآيس الذي خسر كل شيء استرجعت

قواي وتكلمت بصوت عال ابا مصطفى اخبرني اين ولداك لماذا لا اراهما معك ان اليوم تعطيل ولا يوجد دوام في الجامعة وبينما اتلو هذا الكلام على مسامعه رأيته قد اغشي عليه سمعت صوت صافرات الاطفاء قد وصلت وصرت انادي اريد سيارة اسعاف أرجوكم ابا مصطفى لديه عجز في قلبه فلم ينتبه لي احد في هذه الضجة والاصوات العالية سوى صديقي منقذ حيث كان موجود بيننا يطفئ مع الجيران فذهب مسرعا ليأتي بسيارته التي اشتراها قبل شهر لكي يعمل بها كانت سيارة اجرة ركب بها وسار نحوي فقد كان بيته ملاصقا لبيتنا

اركبنا ابا مصطفى في السيارة وانطلقنا الى المستشفى وبينما نسير في الطريق تملكني شعور بالخوف على جاري ابي مصطفى فتسائلت في خاطري هل سيكون بخير؟ وهل سيستيقض من هذه الغشية؟

وفي الاثناء صحت بمنقذ احذر انك مسرع جدا ومشتت هدء من روعك وتمالك نفسك فقد تصيب أحداً

وبينما نحن كذلك التفت الى ابي مصطفى فرأيته شاحب الوجه ويتنفس بصعوبة بالغة فخفت عليه كثيرا

حتى وصلنا الى المستشفى فحملت ابا مصطفى النحيل الذي كان يطعم ولديه فلا يبقى من الطعام الا القليل يسد به رمقه فالفقر نخر عظامه وكان ما يجنيه من اجر على حراسته يصرفه على ولديه حتى يكملا مسيرتهما الدراسية ويراهما قد حققا أحلامهما بحصولهما الشهادة الجامعية حتى يشقا طريقهما المهني باكتساب وظيفة تعينهما وتعين والداهما ولكي يتزوجا وبينما انا حامل ابا مصطفى ومسرع الى الداخل رأني الاطباء فتوجهوا نحوي وحملوه مكاني فناداني احدهم :

- ماذا جرى له؟

فقلت له وقلبي يخفق من التعب والارهاق :

- لقد اغشي عليه بسبب صدمة مرت به قبل وقت قصير

فقال لي:

- انتظر خارج الغرفة

خرجت منها وجائني صديقي منقذ ينادي هادي هادي!! فأجبته ماذا يا منقذ؟ فقال:

- أين عائلة ابا مصطفى قلت له :
- لا أعلم لقد سألت نفس السؤال لابا مصطفى لكن اغشي عليه ولم يجبني
- اركب معي في السيارة لنرجع ونرى ماذا حل بهم

ركبنا السيارة ونحن في طريق العودة خاطبني منقذ قائلا:

- ماذا لو مات ابو مصطفى كيف سنخبر عائلته؟ ومن سوف يعيلهم؟ فبادرته قائلا :
- ما هذا الكلام يا منقذ استعذ بالله يا صديقي لنتفائل بالخير وان شاء الله يقوم بالسلامة ويرجع الى زوجته وولديه
- صحيح كيف احترق بيتهم هل كان السبب التيار الكهربائي كون الكهرباء هذه الايام غير مستقرة وفيها خلل ام الغاز أم ماذا؟

- لا علم لي بالسبب لكن السؤال المحزن كيف سيكون حالهم؟ ومن أين سيأتون بالاموال حتى يرجعوا ما تلف؟ فهم الان لا يملكون الا جدران المنزل
- كان الله بعونهم ونحن لن نتركهم بمفردهم دون مساعدة بل سنقدم لهم ما بوسعنا تقديمه

وبينما نتبادل الحديث وصلنا الى بيت ابي مصطفى لكن فوجئنا بسيارة الاسعاف فقد حملت أشخاصا وما ان نزلنا من السيارة تحركت سيارة الاسعاف فسئلنا الحاضرين من اخذ في الاسعاف أجاب رجل قد سكن قبل ايام قليلة في جوارنا ولم تتسنى لي الفرصة للتعرف عليه

- نقلوا بالاسعاف عائلة ابا مصطفى

ما ان قال كلامه لم استطع تمالك نفسي من الصدمة حتى سقطت على الارض فقد ذهب احساسي بقدمي وفقدت نظري لكني سمعت اصواتا لم اميز معناها الصوت الوحيد الذي ميزته هو صوت ضربات الارجل على الارض وأحسست ان هناك من حملني وادخلني الى البيت الذي كنت بمفردي فيه لان والداي

قد سافرا لغرض عيادة جدتي فالمرض قد أخذ منها مأخذه

فتحت عيني لاجد منقذ جالساً على الاريكة بجانبي وقد ارتسمت ملامح البهجة على وجهه فقلت له :

- ماذا جرى

فقال لي :

- الحمد لله على سلامتك هادي لقد خفت عليك كثيرا بسبب الغشية التي حلت بك فانا جالس عندك منذ ساعة
- اخبرني كيف حالهم؟

اطرق برأسه الى الارض وسكت قليلا حتى سالت دموعه على خديه منظره قد أشعرني بخنقة في صدري فقلت في أعماق نفسي ليته ما ينطق واذا به يحرك شفتاه فقال :

- الحمد لله على كل حال لقد وردني اتصال من الجيران الذين ذهبوا الى المستشفى وقالوا ان ابا مصطفى بخير وصحته تحسنت قلت له:
- وام مصطفى وولداها كيف حالهم

رد علي لكن هذه المرة تلكئ في الكلام فقال:

- انا لله وانا اليه راجعون لقد احترق جميعهم فعندما اخرجوهم من البيت بعد اطفاءه وجدوا مصطفى ومحمود قد اعتنقى امهما ليحموها من حرارة اللهب حتى التصق جسدهما بجسدها

صرخت بوجهه كفى كفى ارجوك اصمت فاجهشت بالبكاء على ما حل بهم واعتصرني الألم وزاد خفقان قلبي لدرجة اني احسست ان قلبي سيخرج من بين اضلعي وشعرت بصعوبة في التنفس وضيق الفؤاد فقلت في نفسي لماذا يا الهي فهم فقراء واصحاب خلق وودودين مع الجميع فحياتهم قضوها في تعب ومشقة

وبعد مدة يسيرة هدأ روعي وتمالكت نفسي من الفزع الذي حل بي فقلت لصديقي منقذ:

- هلا تركتني بمفردي

ذهب من عندي وصرت افكر بابي مصطفى كيف سيكون حاله عندما يعلم بما جرى على عائلته

وهذه السنين التي قد فناها من أجل ان يرى اسرته في راحة وسعادة

لن يلتئم جرحه عندما يعلم بما جرى وبينما انا سارح في التفكير سمعت صوت رنين هاتفي واذا به رسول اجبته مبادرا بالتحية فقال لي:

- انا في مكان عملك وأخبروني انك لم تأتي هذا اليوم
- اعتذر اخي رسول اليوم لم استطع المجيئ بسبب ظرف طارئ خذ الكتاب من العاملين
- لكن اردت ان اكلمك حول الزاهد
- اسف اني نسيت فقد مررت بيوم عصيب جدا نعم ماذا قال لك؟
- قال لا بأس ليأتي
- شكرا جزيلا لك يا اخي على معروفك لكن أرجو ان تبلغه اعتذاري فأنا امر بوقت حرج جدا اخبره اني سوف اكون عنده الاسبوع القادم باذن الله

وبعد اتمام مراسم العزاء قمت وأهالي الحي بإعادة اعمار بيت ابا مصطفى الذي سيعيش فيه وحيدا

مرت ايام الاسبوع وأتى اليوم الموعود واذا بتلك الحالة قد اعترتني مرة اخرى لكني في هذه المرة

تفاديتها بتذكر المشهد الذي حصل في ذلك الاسبوع قبل الحادثة حيث تلك البعوضة التي باتت تزفر انفاسها الاخيرة وهي مقيدة في شبكة العنكبوت على شرفة الدار والعنكبوت يسير نحوها لكن ما رايته منها قد أشعرني بالصلابة والقوة حيث قامت بكل ما عندها من قوة تتصارع مع الشبكة قبل ان يصل اليها العنكبوت واذا بها في هذه اللحظات السريعة تمكنت من الشبكة وحررت نفسها من قبضة العنكبوت

الفصل الثالث:

بذور المعرفة

جاء رسول واسطحبني الى بيت الزاهد وعندما دخلت الى بيته استقبلني بوجه بشوش تملأه الابتسامة الدافئة وطيب المحيى

وقد اقشعر بدني لما عليه من هيبة ووقار فبادرني بالتحية والسلام

وأجلسني بجانبه فقلت له:

- انا اعتذر يا سيدي على مخالفة الموعد فقد مررت بحادث مفجع وقد آلمني كثيرا

فقصصت عليه الحادثة حتى رأيت دموعه سالت على لحيته فقلت له:

- اعتذر على ما سببته لكم فقد آلمتكم بحكايتي مسح دموعه وقال:

- الذي ليس في قلبه رحمه اعدده في منزلة الاموات ثم قال:
- ما اسمك يا ولدي
- اسمي هادي
- جعلك الله من المهتدين والهادين تفضل يا ولدي سل عمى جئت من أجله

قلت له وقد تطأطأ رأسي نحو الاسفل خجلا منه قد جئتك

فسكت عن الكلام ولم استطع مواصلة الحديث

فالحالة السابقة قد عادت ولكن هذه المرة اشتد وقعها علي فقد انقلب لون وجهي كلون الدم خجلا وفي الاثناء رمقني بنظرة مصحوبة بإبتسامة شغلتني عن نفسي بجمالها فكأنما شربت ماءاً باردا في صيف حارق لما أشعرني به من انتعاش في روحي ونفسي وقد حطت الطمأنينة رحالها في قلبي فخاطبته قائلا:

- يا سيدي حالي ميئوس منها فقد غمرت في لجج المعاصي لكني قد ندمت عليها قبل مدة وجيزة

وعندما اخبرني رسول عنكم أحببت ان اتنور بنور المعرفة والحكمة وقد قصدتكم لهذا المرام

وعندما اتممت كلامي رأيته قد اطرق برأسه نحو الارض وأخذ يتأمل مليا حيث دلت نظراته الحادة على انه قد سافر الى فضاء التفكر

رفع رأسه ونظر الي فقال:

- اشدد حيازيمك وحافظ على همتك فما طلبته آتيك

سررت كثيرا على ما قال لدرجة قد شعرت أن الكون لا يسعني لما غمرت به نفسي من السعادة والبهجة كأني احلق في سماء الدنيا مع الطير فوق الغيوم ونسيم الهواء البارد يلامس بدني لقد كان شعور لا يوصف

ثم قال لي :

- بماذا تريد ان نبدأ فقلت له:
- القرار قراركم وما انا وما خطري
- لكني احببت ان اسمع منك مبتغاك

خجلت على هذا الاحترام وهذا التقدير لشخصي فلو اطلع على حقيقتي وما جنته نفسي لولا مني فرارا ولملأ قلبه رعبا قلت له:

- اتمنى يا سيدي أن تطلعني على عقاب الاعمال السيئة فقال:
- ولماذا لا تطلب ثواب الاعمال الحسنة هي بالتالي محفزة لك وتزيد من اقبالك
- كلامكم عين الصواب لكني في الفترة الاخيرة التي ندمت بها على ما فاتني من الخير استشعر الشر بوجداني وأتخطره بفكري باستمرار فهو يراودني بين الحين والاخر فأحببت ان اعرف عقاب وآثار ارتكاب الشرور

وبينما انا كذلك رأيت الزاهد قد قام من مجلسه وتوجه نحو مكتبته الكبيرة والجميلة ذات الطابع التراثي فأخذ منها كراس وقلم وناولهما لي ثم قال:

- قرر ما أقوله لك لان ما كتب قر وما حفظ فر اعلم يا بني بادئ ذي بدء ان الله تعالى حين خلق العقل قال له : **اقبل فأقبل ثم قال له: ادبر فادبر ثم قال:**

وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب الي منك ولا أكملتك إلا فيمن احب أما اني إياك آمر وإياك انهى وإياك اعاقب وإياك اثيب[10] واعلم يا هادي ان الله تعالى عندما خلق آدم أهبط إليه الملك جبرائيل فقال له:

- **يا آدم اني امرت ان أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنين فقال له آدم: اني اخترت العقل فقال جبرائيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه فقالا: يا جبرائيل إنا امرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال: فشأنكما وعرج**[11] قلت للزاهد:
- وما قصد الملك جبرائيل بقوله فشأنكما فقال لي:
- كان قصده شأنكما معكما فيما أمرتما أي لازما العقل واعلم يا هادي ان العقل يصطلح اطلاقه على عدة معاني وسوف اعرض عليك بعضها فمن معانيه قوة ادراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الامور ذوات الاسباب وما يؤدي اليها وما يمنع منها والعقل بهذا المعنى مناط التكليف

---

[10] اصول الكافي ج١ كتاب العقل والجهل

[11] نفس المصدر

والثواب والعقاب ومن معانيه ايضا انه ملكة وحالة في النفس تدعو الى اختيار الخيرات والمنافع واجتناب الشرور والمضار ومنها أيضا أنه القوة التي يتعلمها الناس في نظام أمور معاشهم فان وافقت قانون الشرع واستعملت فيما استحسنه الشارع تسمى بعقل المعاش وهو ممدوح وإذا استعملت في الامور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى بالنكراء والشيطنة في لسان الشرع ويوجد له معان كثيرة كالنفس الناطقة التي بها يتميز الانسان عن سائر البهائم او انه مراتب استعداد النفس في تحصيل النظريات وقربها وبعدها

وبعد كلامه هذا سكت قليلا وراح يحدق نحو الاسفل كأنه غاص في أعماق نفسه أما انا فقد سرح عقلي في التفكر بالذي كتبته واتسائل في نفسي لماذا عرف العقل وماذا يريد ان يوصل الي بهذا التعريف وبينما انا على هذا الحال من التأمل رأيته قد رفع رأسه ونظر الي فقال:

- أعطيتك مقدمة تعريفية موجزة عن العقل وأردت بذلك أن ابين لك أن العقل هو من يملي على النفس

وهو من يكبح هواها بل به يصبح الانسان انسانا فإسعى يا هادي لصيانة عقلك من الشبهات فقلت له:

- وكيف استطيع التخلص من الشبهات ومن شراك إبليس فقال لي:
- سوف اقدم لك ما يسعني تقديمه لكن إعلم ان المعرفة متوقفة في تطبيقها وفهمها فهما عميقا على نباهتك وحضور قلبك المستمر

وبينما هو كذلك رحت اخاطب نفسي ماذا يقصد بكلامه وما هو حضور القلب فقلت له:

- ارجو منك سيدي ان توضح لي أكثر فقال:
- حسنا انصت الي جيدا وافهم ما أقول ان الشيطان قد يكون من الانس وقد يكون من الجان فمعنى كلمة شيطان مشتقة من شطن بمعنى بعد عن الحق او غيره اذن ابليس اللعين لديه اتباع مخالفون للحق شطنوا عنه كما فعل فإذا وسوس للانسان تكيفت النفس مع تلك الوسوسة وراحت تدفع صاحبها لفعل مبتغى تلك الوسوسة من القبائح التي أوغلها ابليس فيها وهنا يكمن الصراع بين العقل والنفس فاما ان تنتصر جنود العقل والخير واما جنود هوى النفس

والجهل هي التي تنتصر وسوف يتضح عندك معنى الجنود في الايام المقلبة

واعلم ان الذي يجر بسلاسل هواه دون توقف سوف يختم الله على قلبه[12]

فيصبح قلبه قطعة سوداء وكذاك الجن فالجنسان لهما قابلية الشيطنة يقومان بالوسوسة نيابة عن ابليس بسبب كثرة انقيادهما وخضوعهما لشهوات النفس وأهوائها وبينما يتحدث

شعرت بالاحباط والانكسار وصرت اخاطب الله تعالى الهي كم من موبقة فعلتها ولم أبالي بنتائجها وما سوف تاولني اليه وكم من وسوسة اوغلتها في نفوس اصدقائي في الاسرار والاجهار وبينما انا على هذا الحال شعرت بالضيق في نفسي

وانطلقت الحسرات تنبت في قلبي كانها سهام حارقة فاشتد حالي واعتراني الخوف الشديد فكلمات الزاهد قد نقلتني الى تلك اللحظات التي كنت اقول فيها لاحد اصدقائي قبل توبتي:

---

[12] **(خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** البقرة / ٧

- يا صديقي لماذا يعتريك الفراغ العاطفي على الدوام وبضاعتك كاسدة في سوق الحب والغرام فأنت تحتاج الى من يسد الفراغ الذي ملئ قلبك بعلاقة مع فتاة جميلة تكون لك كالماء العذب حين عطشك

وصرت اصور له المشاهد المزيفة مشهدا تلو اخر ورسمت في خياله لوحات اللذة على انها حقيقة بينما كانت كالسراب يحسبه الضمآن ماء ورحت اشجعه على فعل ذلك المنكر لكن صديقي كانت فطرته سليمة ولم تدنس مثلي فغالبا ما يقول لي عندما أفتتح الموضوع معه:

- انت من تفعلها وتتلذذ بها فما شأني اتركني منها فهي حرام فما كان ردي عليه الا ان اقول له:
- اتقول حرام!!! ضحكت عليه كثيرا وصرت أقول له: لماذا لا ترتدي رداء رجل الدين وتلقي علي المواعظ

فكان يشعر بالخجل والغربة عندما أشعره بأنه لا ينتمي لما أسير عليه وكنت غالبا ما اوصفه بالجبان وانه ليس جريئا ولا يستطيع ان يفعلها حتى جاء ذلك اليوم الذي خدع فيه فأنشأ علاقة مع فتاة لكي يثبت أنه شجاع

وليس ضعيفا كما أصفه بل قادر على فعل أي شيء أنا أفعله الى ان ارتكب الفاحشة مع تلك الفتاة وكذلك أخذني كلام الزاهد الى صديق آخر جعلته يسرق وآخر زينت له صورة الانتعاش الوهمية في شرب الخمر وما أطيب اللذة التي سوف يتجرعها وكيف يرفرف بجناحيه عندما يتعاطى المسكر حتى تآثر بكلامي ووقع في الحفرة التي حفرتها له

آه آه على ما جنيت وعلى ما فرطت هل أنا من الذين ختم الله على قلوبهم؟ يا ويلي لو كنت منهم هل توبتي قبلت أم رفضت؟ وكيف تقبل مني وكنت شيطانا اعمل عمل ابليس وحيث ادور واتخبط في هذه الدوامة الموحشة لم اتمالك نفسي حتى أجهشت بالبكاء وقمت بلطم وجهي وضرب رأسي فقد مررت بحالة هستيرية

مضى وقت قليل على هذه الحالة حتى هدأ روعي فشعرت بالتعب والغثيان سمعت الزاهد يقول بصوت هادئ مبعث للطمأنينة والسلام:

- انا لم أشأ ان اوقفك عن لوم نفسك ومحاسبتها لاني استشعرت فيك الندم واعلم يا هادي ان الندم ركن

من اركان التوبة وانا سعيد لكوني علمت انك قد ندمت على ما سلف من اعمالك لكن اعلم يا هادي ان الندم بمفرده لا يغني فقلت له بتلهف وصوت عال:

- أرجوك اخبرني ماذا بعد الندم اتوسل اليك

تبسم الزاهد ورفع يده فوضعها على كتفي وقال:

- هدّئ من روعك يا بني اعلم انك تريد وبلهفة ملحة أن تعرف الركن الثاني فأنك قد علمت الان انك اتممت الركن الاول وتريد أن تعرف هل فعلت الثاني ام لا
سوف اخبرك به لكن اعلم انه يستمر معك الى ان تنفصل روحك عن بدنك

اقشعر بدني من كلامه وشعرت بالقلق والخوف الشديدين حيال كلامه وماذا يقصد به؟ وكيف يستمر معي الى ان اموت فقلت له:

- نعم يا سيدي وما هو؟ فاردف قائلا:
- الركن الثاني بعد الندم هو عدم الرجوع الى ارتكاب الذنب مرة أخرى وسبب قولي لك انه مستمر هو ان

ابليس لن يتركك... الى أن تموت بل حتى لو مت سوف يأتيك لكن في تلك اللحظة لن يأتيك لكي يقودك الى ارتكاب الذنوب التي ارتكبتها بل من أجل ان يجعلك تكفر بالله سواء في ساعات الاحتضار أم المواطن التي تكون بعدها وهذا القول يرجعنا الى النباهة وحضور القلب الذي ذكرناهما قبل قليل فلابد لك من ان تكون نبه وحاضر القلب في جميع حركاتك وسكناتك ومعاملاتك وفي خلواتك وفي اجتماعاتك مع العائلة والاصدقاء وفي كل مكان وزمان انت فيه بل ان الطريق المؤدي الى السقوط في الهاوية هو الغفلة فاحذر من السقوط بإبعاد الغفلة بالنباهة واليقضة واعلم يا هادي ان هدف الوحي عندما تنزل على الانبياء والرسل هو اعطائهم القيم والمثل العليا الروحية اعطاء حسي لا نظري عقلي فقط وبذلك قد ارتشفوا لذة المعرفة والحقيقة بالمباشرة مع الاله اما ما دونهم فيلتمسونه لا عن الطريق المباشرة بل عن طريق المرآة التي تعكس ذلك الاله المطلق المتمثلة في الرسول والنبي اذن لابد لنا من استحصال تلك القيم والمثل والاخلاق

الفاضلة استحصالا حسيا نعايشه ونتأثر فيه
بحواسنها ومشاعرنا لكي تكون الحقيقة في وجداننا
لا غيم ولا غبار ولا ضبابية عليها وهذا الاستحصال
انما يكون باستنزال القيم العقلية من النظريات
والمعارف في العقل وننزلها الى مستوى الحس
بالتدريج والتلقين فاسعى يا هادي الى تلقين نفسك
بانك عبد خاضع وان لك اله مدبر قد سير وخطط
حياتك وتكفل برزقك وتعليمك وكل ما هو مرتبط بك
ولذلك توجب عليك ان تتفاعل بكل وجودك وكيانك
مع هذا الاله تفاعلا حسيا لا عقليا مجردا عن الحس

الفصل الرابع

أهواءٌ وميول

يا هادي إن مدار الذنوب والبعد عن الله والخسران الابدي هو اتباع هوى النفس والميل بميولاتها وقد قال الله تعالى بهذا الشأن في حديث قدسي:

- **وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وإرتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتت عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم اؤته منها الا ما قدرت له وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه الا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والارضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة**[13] قلت له:
- وكيف يؤثر العبد هوى الله على هواه؟

قال:

- ما عليه الا ان يجتنب كل محرم ويفعل كل واجب مفروض فهوى الله هو الالتزام بما فرضه من واجبات وحقوق وأيضا اجتناب ما امر بتركه من محرمات والتي سأعرض عليك قسما منها فيما بعد

[13] الكافي ج٢ باب اتباع هوى النفس

حتى تجتهد بإجتنابها لكي تكون مصداقا لمن آثر هوى الله على هواه الذي تمليه عليه نفسه من اتباع شهواتها وليس من الذي آثر هواه على هوى الله كالذين غرقوا في بحار الذنوب والمعاصي وتركوا كل ما فرض الله عليهم من الحقوق والواجبات فالحذر الحذر

ثم أطرق برأسه نحو الاسفل وسكت عن الكلام فقلت في نفسي الحذر من ماذا؟ ولماذا سكت ولم يكمل كلامه؟ وبينما انا كذلك رأيته يستنشق الهواء بقوة ويخرجه بقوة مع حسرات تخرج منه

حدق بعيني وقال:

- يا هادي عندما اشاهد اولئك الذين آثروا هواهم على هوى الله ووصلوا الى مرحلة قد عميت بصائرهم وماتت قلوبهم واصبحت كالمقابر المهجورة بل وعميت عن مشاهدة نور الخير ولا ترى له أثر كانوا كمن **نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** [14]

[14] الحشر / ١٩

وأرى قلوبهم قد ملئت بالحسد والبغض والحقد والضغينة ولا ارى منهم إلا شرا فقلت له:

- ألهم علامة بارزة أميزهم بها عن غيرهم
- أجل فعلامتهم أن لا يتعظوا بأي موعظة ولا ترى فيهم الندم على ما فعلوا إذا نصحتهم لا يسمعون وفيهم من يخادع نفسه حيث تراه يمثل أمامك وامام الاخرين على انه صالح ولكنه في الحقيقة إذا خلا يخلو الى شياطينه خسر الدنيا والاخرة واعلم أن سبب هذا البعد هو قطع الصلة بينه وبين الله تعالى
- وكيف تقطع الصلة بين العبد وربه؟
- سؤالك في محله يا هادي إعلم إنَّ من موارد قطع الصلة بين العبد وربه ترك الصلاة لان الصلاة حبل ممدود بين العبد وربه **واول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته فان قبلت نظر في غيرها وان لم تقبل لم ينظر في عمله بشيء**[15] بل إن **الصلاة عماد الدين فمن ترك صلاته متعمدا فقد هدم دينه**[16] والموارد في هذا الصدد كثيرة يا بني هادي

[15] بحار الانوار ج٧٩ / باب فضل الصلاة وعقاب تاركها

[16] بحار الانوار ج ٧٩ / باب ١

واعلم ان المخوفات اثنان اتباع الهوى وطول الامل، اما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة واعلم يا هادي انه مامن شيء أفسد للقلب من الخطيئة **ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه اسفله**[17] واعلم ان المذنب وصاحب الخطايا حتى في الدنيا معذب وليس فقط في دار القرار

اما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)[18] وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به فلو اخذ الله عباده الخطائين بكل ذنوبهم لرأيت المصائب في كل وقت حادثة عند كل عاصي ولتعي يا هادي ما سوف اقوله لك ان **الذنوب كلها شديدة وأشدها ما نبت عليه اللحم والدم لانه اما مرحوم واما معذب والجنة لا يدخلها الا طيب**[19]

---

[17] الكافي ج٢ / باب الذنوب

[18] نفس المصدر

[19] نفس المصدر

وبعد كلام الزاهد وهذا اليوم الشاق والممتع الذي مثل نقطة تحول في حياتي استاذنت من الزاهد وخرجت من عنده فقد أخذنا الحوار الى وقت متأخر من الليل وبينما انا في طريق العودة الى المنزل سمعت صراخ صاخب ودوي ضربات الارجل على الارض

في تلك الليلة الظلماء أسمعه يصيح اتركوني اتوسل اليكم فشعرت بحجم الخوف وشدة الرعب الذي حل فيه من نمط صراخه وكلماته فصاح الشرطي برفاقه امسكوه بقوة ولا تدعوه يفلت...

فقد كان هذا الرجل يصارع الشرطة بكل ما اوتي من قوة عسى ان يتمكن من الهروب

تالمت كثيرا عليه حتى سمعت صوت ضميري الحزين كانه يلقن بي فيقول:

- انظر الى هذا المسكين الخائف كيف يجر ماذنبه حتى اصبح بين ايديهم كأنه شاة تساق الى المذبح وتقاتل من أجل الخلاص آه لو أعرف تهمته وماذا فعل فقلت في نفسي لعله قاتل واذا بالصوت الذي في داخلي عاد مرة أخرى يقول :

- لا اظن ما تظن فخاطبته:
- اذن وما عساه فاعل حتى يجر بهذه الطريقة؟

قلت لاخاطب الشرطة قبل ان يركبوه في السيارة التي يدوي صوت صافرتها في رأسي وبينما احاول الدنو منهم شيئا فشيئا اعترضني رنين هاتفي اخرجته من جيبي ونظرت اليه فكان صديقي حميد الذي يناهزني في العمر والذي كان يحمل خلقا رفيعا بادرته بالتحية والسلام فقال لي:

- يا هادي هذه الايام تراودني كوابيس مرعبة تكاد تخنقني في كل ليلة لكن!!
  ما هذا الصوت الذي اسمعه عندك كانه صفارة سيارة الشرطة
- نعم صديقي هو كذلك لكن اتركنا من هذا الامر وقل لي ما نوع تلك الكوابيس ايمكنك ان تقص علي نبذة منها
- بكل تأكيد فاني ارى اشباحا تلاحقني وتريد أن تنقض علي ولا يسعني الا الصراخ والهروب وأحيانا جسدي يتجمد ولا اقدر على الحركة واذا بالاشباح التي يملؤها السواد كقطع الليل المظلم

وبتلك النظرات الحادة التي ينبعث منها الشرر والاصوات المرعبة التي ملأت المكان تقترب مني أكثر فأكثر ولا يسعني الا الصراخ وبينما انا في تلك الحالة واذا بهذه المخلوقات الموحشة والمخيفة قد...

- عذرا يا صديقي حميد الظاهر أن قصة حلمك تطول فهل من الممكن يا صديقي ان نأجلها الى وقت اخر ازورك في بيتك ونتحدث بخصوص الموضوع فانا مشغول الان
- كما تريد يا هادي وسوف اكون بالانتظار

اغلقت الهاتف واذا بسيارة الشرطة اوشكت على الذهاب فقد تمكنوا أخيرا منه واركبوه في السيارة

وما عساي الا ان توجهت بتلهف نحوهم لكي اوقف السيارة حتى استعلم عن سبب اخذه بهذه الطريقة

فقد تملكني الفضول والرغبة لمعرفة سبب اخذه وان كان ليس من شأني وعندما وقفت امام السيارة بجسدي المنهك قال الشرطي بصوت عال:

- لماذا وقفت امام السيارة؟ فقلت له:

- ارجوك سامحني على فضولي لكني اطلب وبشغف معرفة ذنب هذا الرجل
- لا شأن لك بهذا الامر ابتعد من امام السيارة
- اتوسل اليك يا اخي الا ما اخبرتني

سمعت الشرطي الاخر الذي بجانبه يقول له : اخبره ما المشكلة في ذلك فانه لحوح فقال لي:

- اذا كنت مصر الى هذا الحد سوف اخبرك ان تهمة هذا الرجل السرقة
- شكرا جزيلا لك

ابتعدت من امام السيارة وذهبت الى المنزل وحينما وصلت رميت بنفسي على الاريكة فقد كنت متعبا جدا فأخذت الافكار تراودني وسط ذلك الهدوء الذي عم المكان وأخذتني الى كلمات قرأتها سابقا عن السرقة والآثار المترتبة على فاعلها فحزنت كثيرا واخذتني الشفقة على عائلة هذا السارق المساكين الذي خرب بيته وأبعد عنه البركة بسبب سرقاته[20]

[20] خراب البيوت: قال رسول الله (ص) اربع لا تدخل بيتا واحدة منها الا خرب ولم يعمر بالبركة الخيانة والسرقة وشرب الخمروالزنا / بحار الانوار ج ٧٦ باب ٩١

وإشتد حزني عليه حيث انه اصبح كعابد وثن[21] وكذلك قد ملأ بطنه وبطون عائلته بالحرام

فاخذتني الحسرة عليه كثيرا بسبب ما فعل وعلى عائلته اذا كان لديه اطفال ومن لهم اذا طال مكوثه في السجن

عسى ان يكون السجن والفضيحة التي حلت به سببا لتربيته وردعه عند خروجه

استيقضت في اليوم التالي وقليل من مشاهد ما جرى يوم امس تدور في رأسي نعم!!

لقد قلت يوم امس لحميد اني سازورك لكن يا ترى ما تفسير ما يحصل لحميد؟ وما سبب تلك الكوابيس؟ فاعترتني الحيرة لانني لم اعرف حقيقة تلك الكوابيس المزعجة التي تراود حميد فقررت ان اطرح القضية على الزاهد عسى أن أقف عنده على تفسير لها

ولما انجزت مهامي توجهت الى بيت الزاهد وبينما اسير في الطريق رأيت جارنا الذي يبعد عنا مسافة قليلة والذي ناهز عمره الخمسة والستون سنة جالسا

[21] عن ابي عبد الله (ع) قال : مدمن الزنا والسرقة والشرب كعابد وثن / بحار الانوار ج٧٦ باب ٩١

على كرسي في حديقته الجميلة المطلة امام بيته ولكنه يتأفف ويئن بادرته بالتحية والسلام ورد علي لكن!!

لماذا ابا خالد يرد علي السلام بتثاقل ولا أكاد أسمع رده وان كان قاضيا فلابد عليه ان يتواضع للناس ولا يتكبر عليهم فقد اختنقت من فعله وشطت غضبا فقلت له بنبرة حادة:

- لماذا ترد السلام يا جاري بتثاقل؟ ولماذا أراك تتأوه فقال لي:
- يا ولدي هادي ان الالم يعتصرني ولا أكاد استطيع استنشاق الهواء
- انا اسف لم اكن اعلم خير ان شاء الله ما بكم يا ابا خالد؟
- لدي أملاح في كليتي وانسداد في صمام قلبي واجد صعوبة في التنفس ولا اعلم لماذا الله تعالى يفعل هكذا بي فقد ذهبت الى أطباء كثر ولم يفلح معي ما وصفوه من دواء
- الحمد لله على كل حال مؤكد ان الله تعالى يريد الخير لك فلا تجزع
- عن اي خير تتحدث والألم يعتصرني ليل نهار

- لا تقول هكذا يا ابا خالد أتعلم بأي نعمة أنت
- نعمة؟!!
- سوف اخبرك بها لكن قبل ذلك ارجو منك ان تسمع مني حديث جرى بين الله وبين نبيه عزير(ع)
- تفضل أسمعك
- **أوحى الله تعالى الى عزير اذا وقعت في معصية فلا تنظر الى صغيرها ولكن انظر من عصيت واذا اوتيت رزقا مني فلا تنظر الى قلته ولكن انظر من اهداه واذا نزلت اليك بلية فلا تشك الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي عند صعود مساوئك وفضائحك**[22]

والان يا ابا خالد قد قدمت الي شكوى عن الله تعالى وهو القائل: لا تشكو الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي عند صعود مساوئك وفضائحك

وبينا كذلك اذ ارى ابا خالد قد اطرق برأسه نحو الارض ونزلت دموعه وراح يقول ما اقبحني كم انا لئيم يا ويلي أهكذا اصنع مع خالقي فاستمر بالبكاء

[22] مستدرك الوسائل / ج٢ باب ٣

ولوم نفسه حتى أحرقتني لوعة المشهد الذي جرى وصرت اصبره واهون عليه فقلت له:

- ان الله رحيم رؤوف بعباده استغفره يغفر لك لانه كتب على نفسه الرحمة فقال **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**[23]

وبينما اكملت الاية رأيته قد هدء من روعه ومسح دموعه فقلت له:

- سوف اقول لك كلام يفرحك كثيرا قال :
- وكيف عساي أن افرح وأنت ترى حالي؟
- الم تطلع على حقيقة الامراض وفوائدها
- من أي لحاظ تقصد؟
- من لحاظ الدين
- لا لم اطلع

فقلت في نفسي اقصص عليه بعض احاديث اهل البيت (ع) حول حقيقة وفائدة الامراض فعزمت على ان احدث الزاهد بهذا الشأن لكي يزدني من المعرفة فيه وبينما انا كذلك نظرت الى ساعة يدي يا ويلي لقد

---

[23] طه / ٨٢

تأخرت على الموعد فالزاهد ينتظرني فاعتذرت من ابي خالد وقلت له:

- سوف اكمل الحديث معك لاحقا لاني في موعد وقد تأخرت عليه فقال:
- لا بأس ولكني سوف انتظرك لتكمل حديثك

اكملت طريقي الى بيت الزاهد حتى وصلت فاستقبلني باستقباله المعهود الذي يبهج القلب ولما جلسنا قلت له:

- أرجو ان تكلمني يا سيدي عن ماهية الابتلاء والتطهير فقال لي:
- حسناً سوف اخبرك بها اعلم يا هادي ان سبب هذه النكبات هي ان الله يكفر بها خطايا عباده بل **ان الله اذا اراد بعبد خيرا فأذنب ذنبا اتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار واذا اراد بعبد شرا فأذنب ذنبا اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتماد بها وهو قول الله عز وجل (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) بالنعم عند المعاصي**[24] واعلم يا هادي **ان المؤمن**

[24] بحار الانوار / ج٥ باب ٨

ليهول عليه في منامه فتغفر له ذنوبه وإنه ليمتهن في بدنه فتغفر له ذنوبه[25]

وهذه من نعم الله على عباده حيث يؤذيهم الاذية اليسيرة في الدنيا من أجل أن يخفف عليهم في الاخرة ولكن يا هادي لا يشذ ذهنك عن مفهوم هذا الكلام بل ان الانسان التقي والورع ايضا مبتلى بالنكبات والمخاوف والامراض بل كلما زاد العبد ايمانا ازداد بلاؤه وهناك يمتحن الصادقون بصدقهم فبمجرد العيش الهانئ لا يُكشف مضمون وجوهر العبد فقد قال الله تعالى: **اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا**[26] وازيدك يا هادي انه **اذا كان يوم القيامة يود أهل البلاء والمرض ان لحومهم قد قرضت بالمقاريض لما يرونه من جزيل ثواب العليل**[27]

---

[25] مستدرك الوسائل / ج٢ باب١ / استحباب احتساب المرض والصبر عليه

[26] نفس المصدر

[27] نفس المصدر

فكل هذا العطاء الالهي جزاء على رضا وصبر المبتلى وأحيانا نشاهد بعض المؤمنين عندما تتعاقب عليهم المصائب والابتلاءات كالفقر وفراق الاحبة وتوارد الامراض والعلل والكربات الواقعة بهم نأن لأنينهم ونحزن لحزنهم فنقول ماذا فعلوا حتى صبت عليهم المصائب واحدة تلو اخرى لكننا جهلنا أن الله تعالى قد من عليهم بهذه البلاءات فالنبي محمد (ص) يقول: ما ابتلي نبي كما ابتليت لقد كان أشد أنبياء الله ابتلاء واعلم يا هادي ان هذه النكبات كلها زائلة وعابرة وما هي الا ايام وساعات وينفذ العمر في هذه الدنيا بينما يكون المغنم عظيم ولن يموت بموت الانسان بل مكتوبا ومحفوظا عند رب رحيم وهناك تكون السعادة والبهجة عند العطاء الالهي **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا** [28]

واعلم يا هادي ان الله تعالى قد انعم على عباده بهذه النعمة الا وهي نعمة الابتلاء والتي تترجم بمعنى التطهير من الخطايا والرفعة في الدرجة

[28] مريم / ٦٣

فاذا ابتلى الله عبدا اسقط عنه من الذنوب بقد علته[29] ليس هذا وحسب بل ان الله تعالى **يكتب أنين المريض حسنات ما صبر فان جزع كتب هلوعا لا اجر له**[30] وشرطها الصبر

وا اسفاه يا هادي فقلت له:

- لماذا تتاسف يا سيد؟ قال:
- ارى كثيراً من الناس لا يتوانون حتى يجزعوا وأحيانا اشاهد بعضهم قد وصلت بهم المرحلة ان يتطاولوا على الذات القدسية وبعضهم يعترض على بلاء الله مع انه فائدة ومغنم عظيم للانسان بل هدية من الله لعباده يكفر بها خطاياهم فتراهم يقولون ماذا فعلنا حتى يفعل بنا الله ما يفعل جوّعنا واشبع غيرنا عرّانا واكسى اخرون افقرنا وأغنى كثيرين ...

وبينما يتكلم الزاهد قلت في خاطري أكان الزاهد حاضرا عندما كنت عند ابي خالد؟ فقد اشعرني بكلامه انه كان هناك لكن الاهم انني سوف انقل هذا الكلام الى ابا خالد حتى يعلم عظمة ورحمة الله التي انسوها ايهاه

---

[29] مستدرك الوسائل / ج٢ باب ١

[30] نفس المصدر

اصدقائه الشيوعيين والملاحدة لكن الامر الجيد ان ابا خالد الى الان متمسك بالدين الا في بعض الامور سبحان الله الذي ثبته ولم يجعله ينزلق مع رفاقه رجعت الى الانصات لكلام الزاهد الذي يراني احدق به بعيني لكن الحقيقة اني قد سرحت عنه بفكري فيكمل الزاهد كلامه قائلا:

- يكون هذا دأبه فكلما يرى نعمة عند غيره وليست عنده يعترض او لديه نعمة وسلبت منه لكنه ايضا يعترض وفي كل الاحوال كان خاسرا والسبب هو الجهل ولانه لم يتنور بنور المعرفة والحكمة فتحصيلهما من المنجيات واعلم يا هادي ان رسول الله (ص) قال في هذا المورد: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة به يتكامل الانسان ويصبح ناظرا بمنظار الله لا بمنظار نفسه التي تقوده للوقوع في شهواتها ولذائذها قلت له:
- لدي سؤال يا سيدي في موضوع آخر اذا تسمح لي بطرحه
- بكل سرور تفضل

- ما حقيقة الكوابيس؟ وهل ورد في شئنها تفسير ديني؟
- الم تنتبه يا هادي!!
- على ماذا انتبه؟
- لقد اخبرتك قبل قليل لكنك والله العالم كثير التفكير اثناء التحصيل فتغيب عنك بسبب ذلك بعض المعلومات

فقلت له:

- نعم نعم لقد أخبرتني بهذا الكلام اعتذر منك سيدي لم انتبه جيدا
- لا بأس يا ولدي

وبعد كلامه استأذنت منه وقلبي ملئ سعادة وسرورا على ما أخبرني به ولما خرجت من منزله عزمت على الذهاب الى ابي خالد وبعده الى حميد

وبعد مسافة الطريق وصلت الى بيت ابي خالد طرقت الباب فخرج لي ولده خالد وبعد التحية والسؤال عن والده دخلت الى بيته واستقبلني ابو خالد في براني بيته فقلت له:

- لقد وعدتك بان أخبرك بمقال يفرحك فرد علي قائلا:
- نعم اخبرتني وانا منتظر قدومك لتخبرني فقد قلت لي الم تطلع يوما على حقيقة الامراض وفوائدها واجبتك بلا وها انا استمع إليك

اقصصت عليه ما سمعته من الزاهد وما كنت مطلع عليه حتى رأيت على وجهه علامات التعجب والدهشة ولكن ما حيرني مرة أخرى كيف يؤمن بما أقول اليس هو دائما ما يطلع على الفلسفات الحاطة من الدين وآثار الملاحدة بل انه اشد المعجبين بكارل ماركس صاحب المذهب الشيوعي ومكتبته مليئةٌ بهكذا قسم من الكتب بل يؤمن بان الكثير من القضايا الدينية مجرد خرافات لكن كيف انصت إلي وتفاعل مع هذا الكلام؟ هل لأنه استشعر قرب أجله فحال انكاره تصديق؟ لا أعلم فامره محير والامر الاهم كيف يفكر هو وامثاله؟ فالعديد من المؤمنين الذين اعرفهم لديهم هكذا شغف بالتطلع لكن لم يزحزوا عن ما يؤمنون به بل بعضهم يقول لي عندما اكثر من تطلعي على كتب الملاحدة ازداد ايمانا وثباتا بالله على عكس البعض من الذين يطلعون على كتاب واحد تجدهم ارتدوا عن الله ودينه

وبينما انا سارح في هذا الخليط من الافكار نبهني ابو خالد وقال لي:

- اين ذهبت يا هادي؟ فقلت له:
- اعتذر لقد سرحت قليلا واكملت حديثي معه قائلا:

ان النبي (ص) يقول: **ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل أربعين يوما مرة فقيل: يا رسول الله اما زكاة المال فقد عرفناها فما زكات الاجساد؟ فقال لهم (ان تصاب بآفة) فتغيرت وجوه القوم الذين سمعوا ذلك منه فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال لهم: هل تدرون ما عنيت بقولي؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: بلى الرجل يخدش الخدش وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا حتى ذكر في آخر الحديث اختلاج العين**[31]

وبعد حديثي رأيت ابا خالد ليس ابن ذلك اللقاء الاول بل صار وكأنه يتعامل مع المرض وألمه على انه هدية تؤنسه ولابد أن يتكيف معها قلت له:

---

[31] مستدرك الوسائل / ج٢ باب ١

- هنا اتركك على خير يا ابا خالد سأذهب

فقام وشكرني وقال:

- صدقني يا ولدي الان وقد نسيت آلامي وحسراتي التي تأخذني يمينا وشمالا فشكرا لك على هذا المعروف
- العفو هذا واجبي

ولما ذهبت من عنده تذكرت امرا قد حدث معي وانا احاور ابا خالد في اللقاء الاول وليتني ما تذكرت فقد اظلمت الدنيا بعيني بسبب ما حل بي من حزن وخوف من الله فقد عصيته اليوم وصرت الطم وجهي واقول ما اقبحني وما أجرئني كيف قدمت على هكذا فعلة قبيحة آه لماذا يا هادي كيف تسيء الظن بابي خالد عندما رد عليك السلام بتثاقل ما انتظرت حتى وصفته بالمتكبر بينما المسكين كان يعتصر من الالم واشتد حزني اكثر عندما تذكرت قول النبي (ص): **من اساء باخيه الظن فقد اساء بربه**[32] وكذلك قول أمير المؤمنين(ع) : **سوء الظن يفسد الامور ويبعث على الشرور**[33] لكني

[32] ميزان الحكمة المجلد الثاني / ١٧٨٩

[33] ميزان الحكمة المجلد الثاني / باب التحذير من سوء الظن

تركت الاشرار وابتعدت عن مجلسهم منذ زمن فلماذا هذا السوء من اين جاءني هذا الدنس؟ انا اعلم ان **مجالسة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار**[34] على كل حال أستغفر الله ربي وأتوب اليه على فعلتي القبيحة إنه غافر الزلات وممحي الخطيئات

[34] نفس المصدر

الفصل الخامس:

ريح ننتنة

أنظر في المرآة وانا في تلك الحالة من الفزع التي تسبب لي بها كابوس مزعج وبينما اغسل وجهي امام المرآة وانظر لنفسي فيها تذكرت كوابيس حميد وكيف اني قد نسيتها طوال هذه المدة فقد مرت ايام كثرت فيها اعمالي فشغلتني عن تذكر صديقي حميد يا ويلي كيف انساه طيلة هذه الايام فعزمت على الذهاب اليه في الصباح وبعدما حل اليوم التالي توجهت الى منزل حميد ولما وصلت اليه استقبلني بإبتسامته المعهودة وبعد التحية والسؤال عن بعضنا الاخر شرع حميد في فتح الموضوع معي فقال:

- هل نسيت يا صديقي عندما اتصلت بك قبل مدة حول ما يحدث لي وأجلت الامر وقلت لي : انك مشغول وكانت صافرات سيارات الشرطة عندك قلت له:
- نعم يا حميد انا اعتذر منك جدا فقد كنت مشغولا بالعمل وامور اخرى فنسيت أمرك لكن ساخبرك الان بحقيقة ما يجري عندك... اوقفني عن الكلام وقال:
- لكني اريد ان اقص عليك أحد تلك الكوابيس هل تمانع

- لا امانع يا صديقي تفضل اقصص علي ماشئت
- اشاهد مخلوقات غريبة ومخيفة وغالبا ما تهاجمني ولا يسعني الا الصراخ وفي احدى الايام جائني شبح عملاق وعيناه تقدحان الشرر وكان رأسه شبيه برأس الماعز او الكلب وأظن انه خليط من الوجهين وجسده مشوه وتنبعث منه رائحة نتنة ولونه أسود فعندما توجه نحوي عزمت على الهرب بكل وسيلة لكن دون جدوى فقدماي واعظائي تجمدتا الا صوتي فصرخت بأعلى صوتٍ عسى أن ينقذني منه احد وبينما انا في تلك الحالة اراه يقترب مني اكثر فاكثر فشعرت بخوف عظيم وكدت اصرع من شدة الفزع وصرت استغيث باعلى صوتي وانادي يا الله خلصني حتى وصل الي ومسكني من عنقي بكل قوته حتى اختنقت ولم استطع التنفس ثم فتح فمه الكبير فخرجت منه رائحة نتنة وكريهه فرأيت انيابه الطويلة والحادة وبينما هو كذلك صرت كالمجنون من شدة الفزع واخيرا استيقضت من نومي فزعا منزعجا ورأسي يؤلمني كثيرا من شدة الهلع الذي حل بي اذن يا هادي ما تفسير ذلك وماذا افعل؟

- لا تفعل اي شيء يا صديقي بل هذه نعمة من الله اليك
- ماذا تقول وكيف هي نعمة؟
- ان الله تعالى اذا اراد بالمؤمن خيرا غفر ذنبه وهذه المغفرة تكون بعدة إبتلاءات ومنها التهويل في المنام **ان المؤمن ليهول عليه في منامه فتغفر له ذنوبه**[35]

وما ان اكملت حديثي رأيت حميد قد أجهش بالضحك وقال:

- فاليأتني مرة أخرى أهلا وسهلا به

وبعد تبادل الحديث بيننا في عدة مواضيع

سألت حميد عن أخيه صفاء كيف حاله وهل ترك طريق الفساد مع النساء؟ فقال لي:

- نعم لقد ترك هذا الطريق وتاب الى الله لكن وا اسفاه...
- لماذا تتاسف يا صديقي؟!
- لقد خرج صفاء ذات يوم من البيت في الصباح ذاهبا الى عمله فقد كان يعمل محاسبا في احدى الشركات

[35] مستدرك الوسائل / ج٢ باب١

فوقعت عيناه على جارتنا الشابة التي تحمل جمالا فاتنا كان كالمصيدة يوقع الشباب متزلزلي الايمان فكانت تلك النظرة سهم من سهام ابليس اخترقت قلب صفاء وقد حزنت جدا حينما عرفت ما جرى
وتشاجرت معه كثيرا ونصحته لكن دون جدوى فقد وقعت بينهما الفاحشة مرات عديدة وانا يا هادي خائف جدا على سمعة عائلتنا وشرفنا فقد علمت أنه كما تدين تدان والزنا دين يقع على أهل الفاعل والمشكلة الكبرى ان اخوتها ليس لديهم منطق التفاهم واذا رأوهما معا تكون نهايتهما الموت آه يا هادي فعندما تاتي سيرة صفاء في ذهني اشمئز واختنق فقد هوى من قلبي بسبب افعاله فهو عندي ليس بامين ولاثقة لان من لا يخاف الله ويتجرأ على فعل هكذا فاحشة فلا رادع له من فعل امور اخرى حتى وصل بي الحال اني لا اطيق رائحته

- ذكرتني يا حميد بحديث يخص الزناة وفيه كلام حول الرائحة
- هلا اخبرتني به يا هادي؟

- اجل سأخبرك يا حميد فقد روي عن امير المؤمنين علي (ع) **اذا كان يوم القيامة أهب الله ريحا يتأذى بها اهل الجمع حتى اذا هبت تمسك بانفاس الناس ناداهم مناد هل تدرون ما هذه الريح التي قد آذتكم فيقولون لا فقد آذتنا وبلغت منا كل مبلغ قال: فيقال هذه الريح ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بالزنا ثم لم يتوبوا فالعنوهم لعنهم الله قال: فلا يبقى في الموقف أحد الا قال اللهم العن الزناة**[36]
- يا ويلي أهكذا حالهم**!!؟**
- نعم لانهم لم يخافوا الله تعالى في الدنيا بل **إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أقر نطفته في رحم يحرم عليه**[37] وازيدك ايضا على ذلك

ان للزاني ستة خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة أما التي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويورث الفقر ويعجل الفناء وأما التي في الاخرة فسخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار[38]

- عجيب أكل هذا في الزنا**؟!**

---

[36] ثواب الاعمال وعقاب الاعمال / ص ٢٦٢

[37] نفس المصدر

[38] ثواب الاعمال وعقاب الاعمال / ص٢٦٣

- بل أكثر منه ان شئت تحدثت فيه
- نعم تحدث يا هادي
- قال رسول الله (ص) : **لا تزنوا فيذهب الله لذة نساءكم من أجوافكم وعفّوا تعفّ نسائكم إن بني فلان زنوا فزنت نساؤهم**[39] وسوف أختم كلامي معك يا اخي حميد بحديث وارجو ان تنقل هذا الكلام لصفاء عسى ان يهتدي فلو تاب تاب الله عليه ولم يحاسبه اذا كانت توبةً نصوحا ولا رجعة بعدها اسمع يا حميد ما اقول **الا ومن زنى بامرأة مسلمة أو يهودية او نصرانية او مجوسية حرة او أمة ثم لم يتب منه ومات مصرا عليه فتح الله تعالى له في قبره ثلاثمائة باب يخرج منها حيات وعقارب وثعبان من النار فهو يحترق الى يوم القيامة فاذا بعث من قبره تأذى الناس من نتن ريحه فيعرف بذلك وبما كان يعمل في دار الدنيا حتى يؤمر به الى النار ألا وان الله حرم الحرام وحد الحدود**[40]
- يا الهي أهذه حقيقة الزنا**!!؟**

---

[39] مكارم الاخلاق / ص ٢٣٨

[40] وسائل الشيعة ج٢ / ص٣٢١

وبعض الناس يا هادي تنظر له على انه مجرد علاقة عاطفية بريئة بين شاب وشابة؟؟
بل وزين شياطين الانس هذه العلاقة المحرمة ببعض المصطلحات الناعمة كالعلاقة الحميمة وغيرها من الالفاظ الكاذبة والخادعة لكي يستساغ امرها لدى الشباب

- اوتعلم يا حميد اني قلت لك مقتطفات عنه فالكلام في هذه الكبيرة كثير مع غض النظر عن الحد والتعزيرات في الزنا وكيف يجلدا وكيف يقتل المحصن والمحصنة كما قلت لك يا صديقي انقل هذا الكلام الى صفاء عسى ان يهديه الله
- اعذرني يا هادي فلقد كرهته عندما سمعت كل هذا الكلام وكيف أنه اغضب الله بفعله
- لكن هل نسيت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل بإمتناعك عن امره ونهيه تكون عاصيا والله تعالى يبغض العاصين
- كيف؟
- الم تقرأ الايات الموجودة في القرأن؟
- مثل ماذا؟

- **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**[41] فقد اوجب الله تعالى في هذه الاية التبليغ الديني والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي موضع آخر يا حميد من نفس السورة قال تعالى: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**[42] وقال تعالى في مورد آخر في توبيخ من ترك النهي عن المنكر كما تريد أنت يا حميد ان تترك نهي اخيك عن الزنا **لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**[43] وقال الله تعالى في قصة أصحاب السبت :

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا

---

41 آل عمران / ١٠٤

42 آل عمران / ١١٠

43 المائدة / ٦٣

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ [44] فيعلم يا صديقي حميد من هذه الايات ان ترك النهي عن المنكر من الذنوب التي جاء في القرأن الوعيد عليها بالعذاب كما يعلم ان تارك النهي عن المنكر هو بمثابة فاعل المنكر في استحقاق العذاب ذلك ان فاعل المنكر اذا كان قد ارتكب حراما فإن تارك النهي ترك واجبا وأصبح بذلك فاسقا واعلم يا حميد **ان الله عز وجل يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له**

- **وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟**
- **الذي لا ينهى عن المنكر** [45] والكلام يطول في المقام يا صديقي اذن هل لا زلت ممتنعا عن نصح وارشاد اخيك؟

---

[44] الاعراف / ١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦

[45] وسائل الشيعة / الامر بالمعروف باب ٨

- ماذا تقول يا هادي عندما سمعت هذا الكلام الذي كنت جاهله صار مرادي الانقضاض على أخي وغيره

ضحكت كثيرا لكلامه وبينما اضحك اراه ينظر الي بإستغراب فقلت له:

- اعلم يا صديقي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس كما تصورته انقضاض وقتل بل ينطوي تحت مراحل ثلاثة وسوف اوضحها لك بامثلة المثال الاول لو ان شخصا ما قام بفعل منكر كما لو تعدى على آخر وانت علمت ان هذا ظالما لذاك وأنت قادر على ان تدافع عن المظلوم بيديك فهنا يتعين عليك النهي باليد بان تبعده عنه بل لو كان لديك من القوة كالسلاح والافراد وكان هناك اشرار يريدون بمؤمنين ضعاف القتل والنهب والسلب فيتعين عليك نهيهم وقتلهم ان استطعت بل تصل هذه المرحلة لمستوى عالمي كما لو ان زعيم دولة ما راى مظلومين يقتلون ويفعل بهم ما يفعل من القسوة والعنف وهذا الزعيم لديه من القوة ما يستطيع بها ردع اولئك الظلمة كما لو سير جيشه لردعهم

ونصرة المظلومين او لديه اموال وليست تلك القوة الميدانية وتوقف رد الظلم الذي حل بهم بدعمهم بتلك الاموال تعين عليه ذلك واما المثال الثاني فيكون باللسان بان تنصح أخاك وغيره ممن يفعل الفواحش والتي لا تتغير باليد والقوة بل بالوعظ والارشاد وايضا هذا المورد قد يصل الى مراحل اكبر كما في رد الباطل وقول الحق فقد ترى من يريد الخراب لدينك او مذهبك او لجماعة مؤمنه كمن يوقع بها زورا وبهتانا فتعين حين اذ الرد عليهم بالقول بان تدفع هذا المنكر بلسانك وتبين الحق من الباطل

واما المثال الاخير فمورده القلب وهذا المورد اضعف الايمان فاذا لم تكن لديك المقدرة على ردع المنكر بيدك ولا بلسانك فتعين عليك ان تبدي امتعاضك ونفورك منه وتبين انك غير راض عنه باظهار مقتك له عبر تعابير وجهك وعدم مقبوليته في قلبك وانك غير راض عن هذا الفعل والامثلة كثيرة في هذا الصدد وسوف استعرض لك مثال منها لو كنت في مجلس وفيه شخصيات تجلها وتحترمها كثيرا وكان أبوك في المجلس ايضا

واغتاب فرضا احد المؤمنين فهل تستطيع يا حميد ان تقول له في المجلس يا ابي هذه غيبة وهي حرام ولا تجوز

- الصدق لا استطيع لعدة اسباب ومنها الخجل واحترام مقام ابي وغيرها
- اذن تعين عليك ان تتعامل بالقلب بحيث تنزعج من هذا الفعل القبيح وتبدي انزعاجك فاذا انتبه لك وترك الغيبة فبها ونعمت واما اذا لم ينتبه واستمر بالغيبة فقم من مجلسك لان الواجب عليك في الغيبة ردع فاعلها ونصرة المغتاب حتى لا تكون شريك في الغيبة فالسامع للغيبة كقائلها ما لم ينصر المغتاب **فمن اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والاخر ومن اغتيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره ولم يعنه ولم يدافع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه الا حقره الله في الدنيا والاخرة**[46]

قال حميد:

[46] ثواب الاعمال / باب عقاب من اغتيب عنده اخوه المؤمن فلم ينصره / ص٢٥١

- هذا فيمن لم يدافع وينصر المغتاب فكيف بقائل الغيبة نفسها قلت له:
- اذا اردت ان تعرف ذلك فانصت جيدا لما اقول **فمن قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم)**[47]

ومعنى الغيبة يا صديقي هي ان يذكر المؤمن بعيب مستور في غيبته سواء أكان بقصد الانتقاص أم لم يكن وسواء أكان العيب في بدنه ام في نسبه ام في خلقه ام في فعله ام في قوله ام في دينه ام في دنياه ام في غير ذلك مما يكون عيبا مستورا عن الناس كما لا فرق في الذكر بين ان يكون بالقول ام بالفعل الحاكي عن وجود العيب من حركات واشارات ولابد فيها من وجود سامع يقصد افهامه واعلامه كما انه لابد من تعيين المغتاب فلو قال: واحد من اهل البلد جبان لا يكون غيبة فهذا معنى الغيبة يا صديقي

[47] الكافي ج٢ باب الغيبة والبهت ص٣٥٧

- شكرا لك يا هادي فقد نورت عقلي بمسائل لم أكن أعرفها
- الم تعرف الحديث القائل زكاة العلم انفاقه فكما تعلمت وعلمتك يترتب عليك العمل بما تعلمت وتعليم الاخرين ايضا حتى تكون مصداقا من مصاديق الحديث

ولما اكملت حديثي وخرجت من دار حميد أحاطني كم كبير من العجب وكبرت في نفسي حتى صرت كأني الزاهد في علمه وراحت مخيلتي ترسم لي صورا واهمة ترفع من مقامي فسرحت منقادا في نزوتي الوهمية حتى اني لم اشعر بمسافة الطريق وما يجري فيه

الفصل السادس

اللقاء الأخير

إستيقضت على صوت الرعد الشديد وصوت زخات المطر كان صباح ممطرا وقاتما والغيم الرمادي يملئ سماء الحي الجو كئيب والحي موحش ارتديت معطفي وحملت مظلتي وكراسي وتوجهت الى بيت الزاهد تحت قطرات المطر فاستقبلني كالمعتاد لكن هذا اليوم صحته ليست على ما يرام سألته

- مابكم يا سيدي؟ قال:
- أرى أبواب الرحيل قد طرقت

استغربت لما يقول؟! وماذا يقصد بكلامه فقال:

- بني هادي قد يكون هذا آخر لقاء بيننا وسأخبرك بوصية لا تنساها أبدا
- عذرا على المقاطعة لكن ما ذا تقصد هل هذا آخر درس؟ او انك تريد ان تسافر؟
- ستعرف قريبا
- اذن ما هي الوصية سيدي
- اعلم ان التقوى والعمل الصالح غير كافيان اذا فقد اهم عنصر والذي به تقبل الاعمال
- وما هو يا سيدي؟

- انه الاخلاص يا هادي به تقبل الاعمال **فبالاخلاص يكون الخلاص**[48]

فهنالك يكون العمل خاليا من العجب والرياء والتصنع

وعندما ذكر العجب حزنت كثيرا على آخر لحظة مرت معي عند حميد فقد راودتني هذه الحالة وكأن الزاهد يعلم ما حصل في نفسي وأكمل قائلا:

- **طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطي غيره**[49] ان الشيطان يا هادي يتربص بالانسان في كل لحظة وأخص تلك اللحظات هي لحظة توجه الانسان الى العبادة فيرسل ويقدح وساوسه الخبيثة في هذا العبد حتى يجعله يسرح في الخيالات والمشاكل والهموم وبذلك يشغله عن الله وهذا الامرغالبا ما يكون مورده في الصلاة حيث يقوم إبليس بإخراج الانسان من حضرة القدس الالهي ويدخله في الدنيا وهمومها

---

[48] وسائل الشيعة / ج١ ص٥٩

[49] نفس المصدر

فترى المصلي قد سرح عقله وخرج من مقام الخشوع والخضوع بين يدي الله تعالى

ان الاخلاص يا هادي بذرة تحتاج الى السقي المستمر حتى يشتد عودها ويقوى جذرها في ارض النفس وعندما نمر يا هادي على هذه الاية **(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)**[50] نجد ان المعصوم يفسرها ليس بأكثركم عملا بل بأصوبكم عملا وانما الاصابة هي خشية الله والنية الصادقة والحسنة والعمل الخالص الذي لا تريد به مدحة المادحين بل تريد به وجه الله عز وجل والنية أفضل من العمل الذي ليس فيه قرب لله والاية القائلة **(كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ)**[51]

أي على نيته واعلم يا هادي ان كل عمل قصد فيه وجه الله له ثمرة وثمرة الاخلاص **أنه ما اخلص العبد الايمان بالله اربعين يوما الا زهده الله تعالى**

---

[50] الملك / ٢

[51] الاسراء / ٨٤

في الدنيا وبصره دائها ودوائها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه... [52]

اذن يا هادي احذر من الغفلة في هذا الامر وكن على بصيرة من امرك ولا تدع لحب الظهور والرياء والغرور والعجب منفذا الى قلبك فيصيرانك عبدا لنفسك وأهوائها فاذا طلبت الرفعة والقبول اعمل العمل خالصا لوجه الله فيخرجه الله تعالى ويجعله زينة لك في الدنيا والاخرة اما اذا طلبت به الرفعة والقبول بين الناس يكون عملك وبالا عليك في الدنيا والاخرة واستيقن في قلبك ان الدنيا دار امتحان واختبار للانسان وليست دار بقاء واذا اردت ان تعرف من هم اهل الاخرة ومن هم اهل الدنيا فانظر عن كثب وسترى جماعتين جماعة تقاتل من اجل المكاسب الدنيوية وكرسوا حياتهم في تعمير دنياهم بينما اهل الاخرة تراهم قد رضوا بما اعطاهم الله وشكروه على كل حال ولا يملكون تلك النفس الطماعة والجشعة

[52] الكافي / ج٢ باب الاخلاص

والتي لا ترضى بالقليل بل عرفوا سبب خلقهم وعمروا الاخرة في دنياهم

وبينما هو كذلك علمت ان أغلب الاعمال بعد توبتي كنت طالبا بها الرفعة بين الناس وان يلاقوني بالمديح آه على نفسي فقد ضيعت أعمالي بهذه التفاهات التي همها رضى نفسي

سمعت صوت الزاهد هادي هادي!! فانتبهت له واجبته نعم سيدي فقال:

- اين شردت؟

اجبته مع ابتسامة خجولة :

- لقد شردت في عالم ذكرياتي الذي ملئته بالجهل
- كيف؟
- عندما هداني الله الى طريق الحق والصواب اندفعت الى فعل الاعمال الحسنة لكن في ذلك الحين كانت النية الخالصة غائبة عني فلم اقصد بعملي وجه الله لانها كانت مملوئة بالعجب وكنت طالبا فيها الثناء

فحل علي الهم والغم والالم قد عصر فؤادي عندما تذكرت الماضي فندمت كثيرا على ذلك وانحنى رأسي

نحو الارض وبدت علامات الاكتئاب تنقش على وجهي فرأيت الزاهد قد بدت على وجهه ملامح الحزن والاسى على حالي فقال لي :

- لا تحزن يا ولدي هادي فإنك في زهرة شبابك وفي مقتبل العمر وان شاء الله يطول عمرك فاسعى من هذه اللحظة الى هدم اصنام نفسك حتى تخرج أخيرا من بوتقة نفسك ومن عبوديتها الى عبودية الأحد المطلق الذي خلقك فسواك فعلمك وهداك

سعدت كثيرا لكلامه الذي كان كنسيم الهواء البارد يتمايل على وجهي وجسدي بل اشعرني كاني ولدت في هذه اللحظة لقد كان شعورا لا يوصف نظر الي وقال:

- ساشرع بذكر كبائر الذنوب فالحذر الحذر من ارتكابها يا هادي وفي ذلك الحين بعد التعرف عليها وتجنبها لابد لك من الشروع بترك الصغائر حتى تزكو نفسك ويطيب قلبك فاحفظهن عني لقد عد يا هادي من الكبائر الشرك بالله تعالى واليأس من روح الله والامن من مكر الله وعقوق الوالدين اي الاساءة

اليهما بأي وجه وكذلك من الكبائر قتل النفس المحترمة وقذف المحصنة بالزنا واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف اي من ميدان الحرب وترك الجهاد وأكل الربا والزنا واللواط والسحر واليمين الغموس الفاجرة بان تحلف بالله كذبا على وقوع امر او على حق امرى او منع حقه ومنع الزكاة المفروضة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر ومنها ترك الصلاة أو غيرها مما فرضه الله تعالى متعمدا ونقض العهد وقطيعة الرحم اي بمعنى ترك الاحسان اليه من كل وجه في مقام يتعارف فيه ذلك والتعرب بعد الهجرة الى البلاد التي ينقص بها الدين والسرقة وانكار ما أنزل الله تعالى والكذب على الله أو على رسول الله (ص) او على الاوصياء (ع) بل مطلق الكذب وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله والقمار وأكل السحت كثمن الميتة والخمر والمسكر وأجر الزانية وثمن الكلب الذي لا يصطاد والرشوة على الحكم ولو بالحق وأجر الكاهن وما أصيب من أعمال الولاة الظلمة

وثمن المغني والمغنية وثمن الات اللهو المحرمة بالاصل فإن ذلك سحت

ومن الكبائر أيضا البخس في المكيال والميزان ومعونة الظالمين والركون اليهم والولاية لهم وهذه الكبائر الثلاثة من معونة وركون وولاية الظالمين هي من الافات يا هادي التي تأصلت في المجتمعات الاسلامية وصيرت من غالبية حكوماتها موالية لها بل حتى على صعيد المجتمعات حيث اصبحت موالية للظالمين وتعينهم وتركن اليهم سواء شعرت بذلك ام لم تشعر حيث زين الشيطان لهم بأسماء وصور واهمة الجانب الايجابي من الظلمة وعرض للمؤمنين تلك الصورة المنمقة على كونها ذات شرعية ويد تمد العون للناس وكل هذه الصور الواهمة قد نخرت عقول وقلوب العديد من المؤمنين حيث تشكلت بسبب الجهل وضعف البصيرة الايمانية لديهم فالحذر الحذر يا هادي من الركون والوقوف بجانب الظالمين مهما تعددت اسمائهم وصورهم

ومهما تنكرت بلباس الخير والصلاح ولا تعنهم ولو بكلمة واحدة ولا تنصرهم ولو بفعل واحد ومن الكبائر ايضا يا هادي حبس الحقوق من غير عسر والكبر والاسراف والتبذير والاستخفاف بالحج والمحاربة لاولياء الله تعالى والاشتغال بالملاهي كالغناء وضرب الاوتار ونحوها مما يتعاطاه أهل الفسوق والاصرار على الذنوب الصغائر والغيبة والبهتان

وما هو البهتان يا سيدي؟

- البهتان يا هادي ان تذكر المؤمن بعيب ليس فيه
- احسنتم سيدي فقد وضح معناه

- ومن الكبائر يا هادي سب المؤمن واهانته واذلاله وسوف اتكلم معك بموضوع اذلال المؤمن بعد قليل ومنها النميمة بين المؤمنين بما يوجب الفرقة بينهم ومنها القيادة ومعناها السعي بين اثنين لجمعهما على الوطئ المحرم ومنها الغش للمسلمين واستحقار الذنب فإن أشد الذنوب يا هادي ما استهان بها صاحبها ومنها الرياء

ثم سكت الزاهد فتسائلت في نفسي لماذا سكت هل هذه جميع الكبائر؟ اذن لاساله وارى ذلك فقلت له:

- هل هذه جميع الكبائر سيدي؟ فقال:
- لا يا هادي بل توجد كبائر اخرى لكن الوقت لا يسع لاني اريد ان اتكلم بخصوص ايذاء المؤمن
- حسنا سيدي كما تريد
- اعلم يا هادي ان **اذل الناس من أهان الناس**[53] وقد قال الله تعالى: **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)**[54] واعلم ان من آذى مؤمنا فقد آذا الله ورسوله وآل بيته والايذاء يا ولدي قد يكون بفعل وقد يكون بكلمة فهنا راقب كلامك ونفسك جيدا وحذاري من الوقوع بهذا الفعل فإن الله جل جلاله قال:

ليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن ولو لم يكن من خلقي في الارض فيما بين المشرق والمغرب الا

---

[53] ميزان الحكمة / مجلد ١ ص٦٦

[54] الاحزاب / ٥٨

مؤمن واحد مع امام عادل لأستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما ولجعلت لهما من ايمانهما انسا لا يحتاجان الى انس سواهما[55]

اقشعر بدني على ما سمعت يا الهي كل هذا وترى الانسان اذا اوتي من القوة طغى وكأن الناس عبيد بين يديه بل وبعض الناس يتسلط ويهين الاخرين بماله وبعضهم بسلطته كالحاكم والوزير وغيرهما بل ان السلاطين والملوك قد افتعلوا الكوارث ببني البشر، مساكين هؤلاء ان ابليس احكم قبضته على أنفسهم حتى صاروا أسارى هالة الطاغوت التي يحيونها وبينما انا غارق في اعماق نفسي تحت هذا الخضم من الافكار هممت بسؤال الزاهد فقلت له:

- وما جزاء من آذى المؤمنين في الاخرة؟
- سؤال جيد يا هادي **اذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصدود لاوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم**

[55] الكافي / ج٢ باب من اذى المسلمين واحتقرهم

وعاندوهم وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم الى جهنم[56]

وقال تعالى ايضا : **من اهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي وما تقرب الي عبد بشيء أحب الي مما افترضت عليه وانه ليقترب الي بالنافلة حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن موت المؤمن يكره وأكره مسائته**[57] وهنا اختم حديثي معك يا ولدي هادي

ما ان اكمل حديثه قام وعانقني بقوة فاستغربت لفعله وودعني وداع المفارق الذي لن يعود بعده ولما خرجت من منزله رأيت الجو قد صفى من المطر وكان نسيم الهواء ينعش الروح و البدن

ذهبت الى المنزل وفي صباح اليوم التالي استيقضت على صوت رنين هاتفي رفعت الهاتف فكان رسول

---

[56] الكافي / ج٢ باب من اذى المسلمين واحتقرهم

[57] الكافي / ج٢ باب من اذى المسلمين واحتقرهم

كلمته واذا به يجهش بالبكاء فقلت له وقد تسارعت دقات قلبي:

- ماذا حدث يا رسول ولماذا تبكي ارجوك اخبرني فقد افزعت قلبي فقال لي بكلمات متقطعة:
- البقاء لله يا هادي انا لله وانا اليه راجعون

وبينما يقول كلماته شعرت بالخوف الشديد واصفر لوني فقلت له:

- ماذا حدث يا اخي لقد افزعتني؟
- لقد توفي الزاهد

كان كلامه كصخرة جثمت على صدري سقط الهاتف من يدي وهويت الى الارض وصارت دموعي تهطل كأنها زخات المطر والحسرة تعصر فؤادي وتشعل نار الفراق عشت حالة الذوبان في صوره المعلقة في مخيلتي فلقد كان أسوء خبر سمعته في حياتي فالزاهد صاحب الثمانين سنة وصاحب العيش البسيط والثياب الرثة كان كالاب لي في التربية والحنان والعطف

اشتد حزني عليه كثيرا حينما تذكرت تلك السنين التي ضيعتها في مطالعة الكتب التي لم تقدمني خطوة الى

الله بل كانت تمثل خزين ثقافي عام لا فائدة منها لآخرتي حتى جاء ذلك اليوم الذي وجهني وارشدني فيه هذا الزاهد الى المسلك الصحيح والسبيل القويم

نهضت مسرعا وارتديت ثيابي ثم خرجت من المنزل حتى وصلت الى بيت الزاهد فقمت مع طلبة الزاهد وأهله واقربائه باتمام مراسم الدفن والعزاء

وبعد مرور ايام من وفاة الزاهد جائني رسول وفي يده ورقة فتبادلنا التحية والسلام وقال لي:

- يا هادي ان الزاهد قد كتب وصية وقال لي عندما اتوفى اعطها لهادي فقد كان يحبك جدا وها هي الامانة
- شكرا لك اخي رسول على حرصك ومجيئك الي

اخذتها منه ولما فتحتها وجدته قد كتب فيها

بسمه تعالى الى ولدي المؤمن هادي اعلم يا هادي ان الزمان قد تنكر وتلبس بغير لباسه فخرجت فئات من الناس كل همها الاطاحة بالايمان والدين والمؤمنين في شراكها ومصائدها من قتل القيم الدينية والخلقية وجعل الناس عبيد للدنيا ولمطامعهم ومصالحهم الشخصية

حتى صيروا من المجتمعات أغراضا استهلاكية وقتلوا فيهم روح الهم الديني الاجتماعي وأصبح المال والمادة والشهوات آلهة تعبد من دون الله حتى اصبحت على قائمة الاساسيات لدى الناس الاموال والترفيه وسواء حصلوا عليها ام لا فكل همهم اللهث خلفها فاؤلئك خسروا الدنيا والاخرة واما الدين فقد اصبح شيئا ثانويا في الحياة وليس منهجا اساسيا ينظم ويسير حياة الفرد ويصوغ المجتمع الصياغة المتكاملة وعلى هذا نجد فئات المجتمع مقسمة الى أربعة أصناف الصنف الاول المغبون وصاحب هذا الصنف تجده يا هادي روتيني في كل يوم لا يضيف الى حياته الخير فمن تساوى يوماه فهو مغبون

والصنف الثاني المثير والاثارة هنا تاتي بمعنيين المعنى الاول الاثارة الايجابية كالذين يمدحهم الناس على حسن خلقهم وصفائهم واما المعنى الثاني فهو الاثارة السلبية كالذين يعرفون بسوء خلقهم

اما الصنف الثالث فهو المؤثر وصاحب هذا الصنف من الذين يؤثرون بالمجتمع فتجده يساعد الآخرين

ويعلمهم ويرشدهم الى طريق الصلاح والخير ويقضي حوائجهم وقد اصبح هذا الامر منهجه واما

الصنف الرابع فهو الرجل الاممي وهذا الصنف ليس مؤثر فقط بل تجد جميع الامم تلهج بذكره وجميع طبقات المجتمع تتغنى بفضائله تحول من وجود شخصي الى وجود اممي كما قال تعالى في حق ابراهيم (ع)

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [58]

وبعدما استعرضت لك يا هادي هذه الاصناف تسنى لك ان تعرف اين موقعك منها وموقع الآخرين فاطمح للرقي واحذر من ان تصبح من اصحاب الصنف الاول المغبونين واوصيك يا ولدي ان تقلل امتعتك الدنيوية لان سفرك سيطول ولانها ستصبح ثقل على كاهلك في الآخرة فقلل امتعتك الدنيوية وانظر من حولك يا هادي ستجد ان الناس اصبحوا امواتا وانظر الى الحكومات كيف تقتل وتضطهد وتجوع وتظلم الابرياء بل فعلت

[58] النحل / ١٢٠

الحروب في ضل غالبية جميع السياسات والحكومات فاصبحوا بذلك عبيد الشيطان كل همهم السلطة والمال ولا يهمهم امر شعوبهم هذا دأب الحكومات الظالمة واما على مستوى المجتمعات فنشاهد النساء قد تعرت من لباس الشرف والعفة واصبحن يلهثن خلف متع الحياة ولذائذ وزينة الدنيا وانظر للرجال كيف كرسوا انفسهم للجشع والطمع وكيف اصبحوا عبيد المال والجاه والشهوات فقد قتلوا الدين بفعلهم ونسوا وتناسوا ما ضحت من اجله الانبياء والرسل والاوصياء والصلحاء

واقول لك يا بني في آخر وصيتي استعد للجهاد الاكبر فانك بعد مدة يسيرة سوف تحرر عالم نفسك وتقبض بيدك على مملكة نفسك ومدينة شهوتك اما الان فانك لا تعي ما اقول جيدا لكنك ستعرف في الايام المقبلة ماذا قصدت وداعا يا ولدي

قلت في خاطري ماذا يقصد الزاهد بكلامه مملكة نفسك ومدينة شهوتك؟؟

وكيف ساقبض عليها بيدي؟

اذن سوف انتظر الايام المقبلة بفارغ الصبر حتى
اعرف ما قصد الزاهد فقد شوقني جدا لذلك رحمه الله

الفصل السابع:

سر مكنون

بينما نسير في منتصف الليل بين الازقة ونتحدث قال حميد امرا كان يمثل نقطة الضعف المكنونة في داخلي نعم هو السر الذي لطالما اردت معرفته لكي استكشف ذلك النقص الذي اشعر به دائما لكني غالبا ما اقف حائرا امام نفسي اجهل ذلك النقص الذي تجذر بي وتطبعت به بسبب انه جزء من شخصيتي الذي انا نقشته عليها واخيرا اخبرني به صديقي تحت طيات كلامه يا الهي سامحني كيف غفلت عن هذا الامر آه من جهلي

وصلت الى المنزل وودعت حميد لكني شعرت بحزن شديد وصرت اوبخ نفسي والومها كيف سرت بهذا المنحى الخطير ولم اكن منتبها فاخذ قلبي يعتصر ونفسي يضيق شيئا فشيئا من الحسرة والندامة حتى كدت اختنق من شدة الجزع الذي حل بي دنى وقت صلاة الليل فاخذت سجادتي وفرشتها في غرفتي وكلما اردت ان اخاطب الله تعالى اخذتني اللوعة وجهشت بالبكاء

كيف اواجه ربي وبأي حديث اتكلم؟

خاطبت نفسي ماذا فعلتي بي ولماذا؟ وصرت اوبخها حتى لم اتمالك نفسي ورحت أئنُّ وابث شكواي الى ربي والدموع تجري كانها السيل النازل من الجبال الرواسي وصرت اخاطب ربي **عصيناك ونحن نرجو ان تستر علينا ودعوناك ونحن نرجو ان تستجيب لنا فحقق رجاءنا مولانا فقد علمنا ما نستوجب بأعمالنا ولكن علمك فينا وعلمنا بانك لا تصرفنا عنك وان كنا غير مستوجبين لرحمتك**[59]

وما عساي ان افعل غير الصراخ والمناداة ربي اغفر لي ربي ان لم تغفر لي كنت ضائعا ربي من لي سواك آه على جرمي وجريرتي آه على قبيح عملي آه من غفلتي بقيت على هذا الحال حتى ضعف بدني وغلب علي النعاس وبان التعب فناديت الحي الذي لا يموت **فوعزتك يا سيدي لو نهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك لما انتهى الي من المعرفة بجودك وكرمك**[60]

[59] مقطع من دعاء ابي حمزة الثمالي

[60] نفس المصدر

فتحت عيني وصرت اصرخ والفزع تملكني ارجوكم ابتعدوا عني من انتم صرخت؟ بصوت عال ولم يكن من الذين يطئوني باقدامهم ويسيرون فوقي ينصت الي وقد عجزت عن الحركة وقد شعرت بتكسر عظامي وما بيدي حيلة سوى الصراخ اين انا؟ ومن انتم؟ ولماذا جلعتموني موطئ لاقدامكم تدوسون علي بارجلكم؟ ارجوكم توقفوا لقد تكسرت عظامي اتركوني وشأني ولا من مجيب وقد بح صوتي من شدة الصراخ والالم وشعرت بان جميع اعضائي قد سحقت

يا الهي هل انا في حلم؟ كنت في غرفتي قبل قليل ادعوك واناجيك أين انا الان؟

واذا برجل بهي الطلعة جميل المنظر ضخم الجثة اقبل نحوي ورداؤه الابيض يشع نورا فقال لي:

- اتذكر الامر الذي كان غائبا عنك وذكرك به صديقك حميد عندما كنتما تتحدثان يا هادي

من هذا الرجل؟ وكيف يعرف اسمي واسم صديقي؟ وكيف عرف النقاش الذي دار بيننا؟ قلت له:

- نعم اتذكره جيدا

- الم تطلع يوما على هذا الحديث **ان المتكبرين يجعلون في صور الذر فيطأهم الناس حتى يفرغوا من الحساب**[61] وها انت ذا توطأ يا متكبر

عندما قال ذلك هال علي الموقف حتى كاد رأسي ينفجر من شدة الجزع الذي حل بي رحت استغيث وانادي يا الهي اتوسل اليك باحب الخلق اليك محمد وال محمد واستغيث واتوسل مرة بعد مرة

وبينما انا تحت ارجل الناس التي هشمت عظامي والهلع الذي اصابني كدت افقد الامل بالله وآيس من روحه ورحمته وكانما كان اختبارا لي لكني تذكرت قول الزاهد بان اليأس من روح الله من الكبائر العظام

فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم وقلت:

- يا الهي ان الحكم حكمك انت مولاي افعل بي ما شئت لكني يا الهي أحسن الظن بك وأعلم عظمة رحمتك ومغفرتك

[61] بحار الانوار / ج٧٠ باب ١٣٠ الكبر

وبعدما فرغت من كلامي فتحت عيني واذا بي على سجادتي نظرت يمينا وشمالا نعم هذه غرفتي

اسرعت بوضع يدي على رأسي ووجهي ورحت اتلمس أعضاء بدني لقد اختفى الالم ولا يوجد اي خدش فهدء روعي وعلمت اني لم امت فغمرتني سعادة ولذة ما شعرت بها كأني اريد التحليق في السماء تحت جنح هذا الليل الهادئ أسفل النجوم اللامعة وأسبح على نسيم الهواء البارد

لكن مهلا!! هل كان ذلك حلما ام حقيقة؟ وسواء اكان حلما ام حقيقة ما ذلك العالم العجيب؟ وما تلك الحشود الغفيرة من الناس؟ وكأن لديهم وظيفة واحدة وهي العبور من فوقي والدوس علي

ومع كل هذا اصبح لدي يقين وجداني ان الله غفر لي وسامحني

وبعد هذه الليلة الحافلة غشيني النعاس من شدة الارهاق فخلدت الى النوم

استيقضت على صوت رنين الهاتف فكان صديقي حميد وبعد التحية قلت له:

- ما الامر يا صديقي هل هناك شيء ما لماذا تتصل علي في الصباح الباكر؟ قال لي:
- عن اي صباح تتحدث يا هادي؟ الا توجد عندك ساعة؟
- نعم لدي
- اذن انظر اليها

نظرت الى الساعة واذا بها الواحدة ظهرا!!

- ماذا جرى يا صديقي هل كنت في سهر ليلة البارحة
- نعم يا حميد كنت كذلك وقد حدث معي مشهد عجيب
- وما هو؟
- هل تستطيع ان تزورني الى البيت لكي اقصّ لك ما رأيت فالقصة تطول
- نعم بعد قليل ازورك وداعا

وبعد مرور ساعة من الزمان طُرق باب المنزل

فتحت الباب فكان حميد دخل الى المنزل وجلس ثم قال:

- نعم اخبرني بما جرى فقد شوقتني عندما قلت مشهد عجيب

- نعم بكل سرور قصصت عليه ما جرى وبعدما انتهيت قال لي:
- لكن انا على علم بشخصيتك وليس فيك شيء من الكبر والعياذ بالله قلت له:
- لم تصب حقيقتي اتعلم انك انت من نبهتني عليه لكن بدون ان تشعر انا يا حميد في بعض الاحيان اجهل الحق وأطعن باهله
- وما شأن هذا بالتكبر؟
- الم تعلم يا حميد **ان أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق**
- **وما غمص الخلق وسفه الحق؟**
- **يجهل الحق ويطعن على أهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه**[62]

بل هناك معان عديدة للتكبر يا حميد فمنها العزة بالاثم[63]

---

[62] الكافي / ج٢ باب الكبر

[63] قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) البقرة / ٢٠٦

والتكبر عن عبادة الله[64] ومن استيقن في نفسه ان له على الاخر فضلا[65]

ومنه من يمشي في الارض مشية العظمة[66]

وهنالك مصاديق كثيرة يا صديقي اذكرها لك لا حقا لكن اتعلم ان احقر متكبر عند الله هو الذي ينكر الحق ولا يقر به وقد ذكر في شأن المتكبر يوم الحساب ان الناس تدوس عليه وان **في جهنم واد للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وسأله ان يأذن له أن يتنفس فأحرق جهنم**[67] والكثير من الايات والاحاديث يا صديقي تذم المتكبر فالتكبر رداء الله والانسان المملوك يريد ان يرتدي رداء الله اما تعلم ان اسفه الخلق وادونهم وأحقرهم هو المتكبر

---

[64] قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) غافر/ ٦٠

[65] عن ابي عبد الله (ع) قال: ومن ذهب أن له على الاخر فضلا فهو من المتكبرين / بحار الانوار ج٧٠ باب١٣٠ الكبر

[66] عن ابي جعفر ع في قوله تعالى: (ولا تمش في الارض مرحا) يقول: بالعظمة / بحار الانوار ج٧٠ باب١٣٠ الكبر

[67] ثواب الاعمال وعقاب الاعمال / ص٢٢٢

- وكيف ذلك؟
- سوف اضرب لك مثالا على ذلك كان هنالك ملك ويوجد في قصره عبيد واماء وفي يوم من الايام جاء أحد العبيد وسرق رداء الملك فذهب الى العبيد مرتديا ذلك الرداء يتبختر في مشيته بينهم ما ان شاهدوه حتى ضج مجلسهم بالضحك عليه والسخرية منه لانه تنكر بغير ردائه فحقيقته عبد للملك كالبقية في القصر والكل يعرف حقيقته انه عبد مثلهم لكنه اراد ان يتقمص حقيقة اكبر منه ولن يفلح بذلك ابدا وبها يصف امير المؤمنين علي(ع) المتكبر قائلا: **عجبت لابن آدم اوله نطفة وآخره جيفة وهو قائم بينهما وعاء للغائط ثم يتكبر**[68]

اذن يا صديقي رحم الله من عرف حجمه وقدره ولم يسفه الحق وأهله ولم يمشِ مشية العظمة ولم يتكبر عن عبادة الله ومن لم يستيقن في نفسه ان له على الاخر فضلا بل الفضل كل الفضل لله تعالى وعلى هذا فاللازم علي وعلى كل انسان يا صديقي ان يعالج نفسه قبل ان يحل اجله وهناك لا

[68] بحار الانوار / ج٧٠ باب التكبر

ندم ولا حسرات تنفع فما زال العمر ولابد من اغتنامه

الفصل الثامن:

نور اللولؤة

في ذلك اليوم المشع بالحياة والنشاط جلست في حديقة المنزل المليئة بالازهار الجميلة ذات الرائحة الساحرة كان في ربيع الاول حيث ولادة النبي محمد (ص) فحصل لي شغف وعزيمة على مطالعة كلام النبي (ص) ووصاياه فابحرت بسفينة التفكر في بحر الكتب حيث رست سفينتي عند أرصفة الكلمات الخلابة في موانئ السطور فوقعت عيني هناك على حديث

لكن؟! هذا الحديث لا يخلو من الغموض والاسرار

حيث سار بي الى عالم النفس وهناك قال الصادق (ع):

ان النبي (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر

قيل: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر؟

قال: جهاد النفس[69] خاطبت نفسي قائلا: عجبا من هذا الحديث ان القوم في الجهاد الاصغر يمر عليهم الحر الشديد ان كان جهادهم في الصيف

[69] ميزان الحكمة / ج١ ص٤٥٣

والبرد القارص ان كان جهادهم في الشتاء بل ان الجوع ينخر قواهم وتجف من العطش شفاههم والخوف يملأ قلوبهم بل والاعظم من ذلك تتقطع اوصالهم وقد يثخنون بالجراح فضلا عن كونهم في دائرة الموت فقد يقتلون بأي لحظة مع تركهم أهليهم وبيوتهم وأموالهم

ومع كل هذا اطلق عليه الرسول الاعظم (ص) الجهاد الاصغر؟! يا الهي!! اذن ما حقيقة الجهاد الاكبر؟ وكم هو شديد؟

رجعت ابحر مرة اخرى باحثا هذه المرة عن الكنز المتمثل بهذا السؤال

ما هو جهاد النفس؟

وبينما ابحث عن الكنز وجدت الامام الصادق (ع) ينثر درره على جماعة قد ذكروا العقل والجهل عنده فخاطبهم قائلا:

- **اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا....**

تأملت مليا بهذا الكلام فتسائلت لماذا عبر الامام بتعبير الجند؟

هل هناك ساحة حرب؟ باعتبار مفهوم الجند غالبا ما يرتبط بساحة قتال وهل العقل له جند تنصره في معركته ويقوى بهم؟ وهل الهداية متوقفة على معرفة جنود العقل ام تستلزم المعرفة بجنود الجهل ايضا حتى يعرف المجاهد ما يجب اتباعه وما يجب اجتنابه؟

ثم يكمل الامام حديثه مع الجماعة فيقول لهم:

- **ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا فلما رأى الجهل ما أكرم به العقل وما اعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل : يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته وأنا ضده لا قوة لي به فأعطني من الجند ما اعطيته فقال: الى ان قال (ع): فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل والايمان وضده الكفر....**

اذن عقلي وعقول البشر أجمع تملك خمسة وسبعون من الجند وللجهل كذلك وهنا حل أحد تساؤلاتي وهو ان هناك ساحة للصراع وهذه الساحة هي النفس وعرفت أيضا أنه كلما قويت جهة ستضعف مباشرة

الجهة المضادة لها وحتما سيكون النصر حليفا للاقوى ولكن الملفت للنظر ان قوة العقل هي نفسها مكارم الاخلاق وهذا يفسر قول النبي (ص) حينما قال: انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق اي لاوصل الانسان الى السمو والرقي والكمال وهذا الكمال متوقف على انضاج جميع مكارم الاخلاق ويكمل الامام (ع)

والرضا وضده السخط والشكر وضده الكفران والطمع وضده اليأس والتوكل وضده الحرص...

فهمت من كلامه ان هذه الاخلاق الكريمة ليست للمعايشة السليمة او المعاشرة الطيبة فقط بل انما هي لاكتمال اسمى ما وهبنا الله تعالى وهو العقل بل ان اكتمال انسانية الانسان هي في اكتمال القوة العاقلة وهيمنتها على مملكة النفس وبلا عقل سينحدر الانسان الى دركات البهيمية (**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**)[70] وفي نهاية الحديث قال (ع): **لا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل الا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان واما سائر ذلك من**

[70] الفرقان / ٤٤

مولينا فان احدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يكتمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء[71]

شعرت بسعادة كبيرة عندما فتح الامام (ع) لنا باب الامل في قوله... وعدت اكمل مسيري في الخوض في البحار واذا بي اعثر على خريطة فيها ثلاثة اتجاهات الاول اسمه القوة الوهمية والثاني القوة الغضبية والثالث القوة الشهوانية ومكتوب فيها نفس الانسان فيها عالمين عالم الملك وعالم الملكوت تأملت بالخريطة وماكتب عليها فتسائلت

ما هو عالم الملك وعالم الملكوت؟ وكيف يرتبطان بالنفس ذلك الارتباط؟

ابحرت مجددا باحثا عن الحل لتساؤلي حتى وقعت عيناي على جدار كبير مطل على جزيرة وكتب عليه ان الانسان له نشأتان وعالمان نشأة ظاهرية ملكية دنيوية هي بدنه ونشئة غيبية باطنية ملكوتية تكون من

---

[71] الكافي / ج١ ص٢١

عالم آخر وهي الروح التي تكون من عالم الغيب والملكوت وهي ليست امرا جامدا وخامدا في هذه الدنيا

فلها مراتب ودرجات ومقامات قد ترتقي النفس فيها حتى تصبح طاهرة نقية خالصة لله تعالى سعيدة تحشر مع الانبياء والاولياء والصالحين

وقد تنحدر حتى تصل الى الجهل والظلام والشقاء

فتنحدر في زمرة الشياطين فالانسان هو ساحة صراع ونزاع مستمر بين معسكرين يريد احدهما الانحطاط بالنفس الى الظلام السفلي

ويريد الاخر رفعها الى الانوار العلوية والسعادة الابدية فقلت في خاطري كيف أجاهد هذه النفس؟

وكيف افهم المواقع الثلاثة فهما صحيحا حتى تكون حربي منتصرة وخططي محبكة؟

فإما ان تتأسر نفسي أو تنتصر او تخسر في هذه المعركة فما عساي الا ان اركب في سفينة فكري وابحر مرة أخرى باحثا عن خطط محبكة حتى انتصر وبينما انا في سفينتي هبت رياح عاتية فارتفع الموج عاليا وقام بلطم سفينتي بقوة حتى سقطت في سفينتي

من أثر تلك الامواج لؤلؤة كبيرة فنظرت الى اللؤلؤة واذا بنور انبعث منها قد أخذني الى عالم مقام الملك وكان هذا العالم ليس ببعيد عن ناظري فعلمت أن اكمال الانسان في هذا المقام يدور حول الامور الظاهرية المادية السبعة

وهي الاذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وهذه العناصر السبعة تتجاذبها جنود الرحمان اي جنود العقل وجنود الشيطان اي الجهل من خلال القوة الواهمة من جهة والعقل والشرع من جهة اخرى

فان غلب الوهم تسلط الشيطان وجنوده على هذه المرتبة وصارت ظلمانية وان غلب العقل والشرع تسلطت جنود الرحمان وهجرتها جنود الشيطان وصارت نورانية

اذن علي ان اجاهد نفسي حتى اطرد جنود الشيطان وأجعل هذا المقام بابعاده السبعة مؤتمر بأمر الخالق تعالى وفي الاثناء تبادر في ذهني تساؤل كيف يكون جهاد النفس في هذه المرتبة؟

فذهبت اتصفح وجوه اللؤلؤة حتى عثرت على جواب تساؤلي وكان يحمل ثلاثة مراحل

المرحلة الاولى التفكر فعرفت ان اول شرط من شروط مجاهدة النفس والسير باتجاه الحق تعالى هو التفكر والتفكر هو ان يترك الانسان شيئا من وقته ليجلس مع نفسه ويخاطبها وجدانيا وينبهها الى المولى الكريم الذي خلقه في هذه الدنيا ووفر له كل اسباب الراحة ووهبه جسما صحيحا وقوى سليمة لها امكانات ومنافع وآثار تحير العقول وتبهر الانظار هذا الإله

الذي رعاه وهيأ له ووسع عليه واعطاه وانعم عليه وشمله بعطفه ورحمته وأرسل له الانبياء وأنزل اليه الكتب والرسالات وأرشده ودعاه الى الهدى وعرفه طريق السعادة

هذا المولى ماذا يستحق منا؟ وكيف يكون تعاطينا مع هذه النعم؟ هل ان وجود جميع هذه النعم هو فقط لاشباع الشهوات والانغماس في حياة حيوانية لا يتميز فيها الانسان عن الحيوانات؟

ام ان هناك هدفا وغاية أخرى؟ هل ان الانبياء الكرام والاولياء العظام والحكماء الكبار وعلماء كل امة كانوا اعداء للانسانية عندما حذروا الناس من الانغماس في الشهوات الحيوانية والغرق في هذه الدنيا الفانية؟

هل كانوا لا يعرفون هدف الانسان وطريقه ومسيرته فضلوا كما ضللنا نحن المساكين المنغمسين في الشهوات؟!

لو وقف الانسان مع نفسه وقفة صدق ولو للحظة واحدة لعرف ان الهدف من هذه النعم هو شيء آخر وان الهدف من هذا الخلق أسمى وأعظم وان هذه الحياة الحيوانية ليست هي الغاية بحد ذاتها وان على الانسان العاقل ان يفكر بنفسه وان يترحم على حاله ويشفق على نفسه المسكينة ويخاطبها قائلا:

- ايتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة ابحثي عن الرحمة واستحي من مالك الملك واتجهي نحو الهدف الاساسي وسيري نحو حياة الخلد والسعادة السرمدية واللاحقين لم يحصلوا على

الراحة ولا استقرت امورهم على ما يحبون كم ان متاعبهم وآلامهم أكبر وأعظم من راحتهم وهنائهم

هذا الصديق الذي يدعوك الى الشهوات ويقول:

يجب تلبية الحياة المادية بزخارفها وعدم تفويتها

هذا الصديق الذي يأتي بصورة انسان ولكنه جند من جنود ابليس وأعوانه[72] اذا تأملت في حاله واستنطقته هل ستجده راض عن ظروفه مسرورا بحياته ام انه مبتل ويريد ان يبلي مسكينا آخر معه؟!

اذن فادعو ربك بعجز وتضرع واساله ان يعينك على اداء واجباتك والقيام بوظائفك فيشكل هذا التوفيق اساس العلاقة بينك وبين الله تعالى يأخذ بيدك بعد ذلك ويرفعك الى منزلة ارفع من منازل المجاهدة

وبعد خوضي في هذه المرحلة شعرت بذلتي ودنوي وطول المسافة في البعد عن ربي حزنت

---

[72] (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) الانعام / ١١٢

كثيرا وأصبح هذا اليوم الربيعي المشمس ظلاما حالكا غطى عيني على ما فاتني وعلى ما فرطت في نفسي من لعب ولهو بينما الله تعالى لم يخلقني لهما[73]

ازداد همي وثقل صدري لكن سرعان ما الهمت العزيمة على ان اكمل تقليب وجوه اللؤلؤة حتى أصل الى منزلة الخلاص

دخلت في المرحلة الثانوية وكان اسمها العزم وكانت بعد التفكر والخطاب الوجداني والمقصود من العزم أن يوطن الانسان نفسه على ترك المعاصي واداء الواجبات ويتخذ قرارا حازما بذلك وبالاضافة اليه يتدارك مافاته في ايام حياته فيقضي ما ترك ويرد حقوق الناس ويدفع المظالم وينهي كل اثر للمعاصي التي ارتكبها ويجبر كل نقص في الواجبات التي تخلف عنها وتركها فيصبح ظاهره الانسان الشرعي الذي ينظم سلوكه وفق ما يتطلبه الشرع فإن اول خطوة في السلوك في المعارف الالهية هي الالتزام بأحكام الشرع ولا يمكن للانسان ان يحصل على الاخلاق الحسنة الا

[73] (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)/ الانبياء ١٦
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) / الذاريات ٥٦

من خلال ذلك ولا يتصور أحد انه يمكن ان يتجلى في قلبه نور المعرفة وتتكشف له الانوار الالهية من خلال الالتزام بطريق آخر وترك هذا الطريق وبعد ظهور المعارف والانوار الالهية في القلب لا بد من الاستمرار في التأدب بالاداب الشرعية الظاهرية ايضا

وبينما انا في هذا الخضم من المعارف التي شغلتني عن وجودي قلت مخاطبا نفسي:

- وكيف يحصل السالك على العزم؟ فالتجري على المعاصي يفقد الانسان تدريجيا العزم فيفقد بذلك هذه الجوهرة الثمينة وكان يقال: ان اكثر ما يسبب فقدان العزم والارادة للانسان هو الاستماع للغناء[74] لان بسماعه يعرض الله عن السامع وبهذا الاعراض تذهب الارادة والعزم المنبعثة من الله

اذن يا هادي عليك ان تهجر جميع المعاصي وتهاجر الى الحق تعالى وتحافظ على الظاهر الانساني الشرعي وان تسلك سبيل الانبياء والصالحين وتطلب من الله تعالى في الخلوات ان

[74] عن ابي عبد الله (ع) سئل عن الغناء فقال: لا تدخلوا بيوتا الله معرض عن اهلها / الكافي ج٦ باب الغناء

يوفقك لذلك ويعصمك من المزالق فيمكن للانسان ان يسقط في لحظة واحدة فيعجز عن انقاذ نفسه ويكون الهلاك فلابد علي من الاستشفاع بمحمد واله الطاهرين (ع) ليتم التوفيق

وهنا اتممت المرحلة الثانية فتسائلت بشغف ولهفة ماذا تظم المرحلة الثالثة وما سوف تحويه من درر ثمينه وجواهر قيمة وفي الاثناء سمعت صوت قرع الباب توجهت اليه وفتحته فكان سامر أحد الجيران الذي يقطن خلف دارنا وكان يلقب في الحي بسامر المطيرجي فقد كان مولع بشراء وبيع وتربية الطيور لكن الحي يضج منه بسبب مشاكله الكثيرة والمستمرة مع الاخرين لقد كان عدائي ورديء الاخلاق قلت له:

- تفضل بماذا اساعدك قال لي:
- احدى طيوري حطت فوق سطح منزلكم
- تفضل بالدخول وخذ طيرك

دخل الى المنزل وصعدنا معا الى السطح فحدثت مناوشات بينه وبين الطير لكنه تمكن اخيرا من امساكه قلت في نفسي لماذا لا اقدم النصح لسامر عسى ان

يرق قلبه للموعظة ويترك تشبثه بهذه الدنيا الفانية والزائلة ويلتحق بأهل الخير والصلاح تاركا خلفه الاذى الذي يسببه للناس وعائلته وتاركا خلفه الكذب الذي عجن معه والاحتيال على الاخرين وكذلك فساده الشهواني مع النساء فقلت له:

- اخي سامر الى متى تبقى على هذا الحال اما آن لك ان ترجع الى الله تعالى وتتعلم الصلاة وامور دينك وتتقرب الى الذي خلقك فسواك فرزقك وكساك واطعمك وأشربك ورعاك صغيرا بين يدي ابوين قد جعل في قلبهما الرحمة والحب والعطف عليك وجعل بدنك سليما صحيحا لا عاهة فيه ولا نقص آلا يستحق أن تشكره وتأتمر بأوامره وتنتهي بنواهيه هذا الرب الرحيم الذي نعصيه ويغفر لنا ونبتعد عنه فيقربنا وبينما اتكلم رأيت سامر يحرك شفتاه لكي يتكلم سعدت لهذا وتأملت فيه خيرا لاني عندما تكلمت معه بدت على وجهه آثار التأمل والتفكر فقال وباسلوب المستهزء:
- خلي اللهك ينفعك فقد ازعجتني كثيرا بذكره وما شأني بكما ثم دار وجهه وقال: اريد الخروج

وعندما خرج من المنزل اشتطت غضبا حتى وصلت الحرارة الى ام رأسي وحمرت عيني ما اشقى هذا الرجل وكيف يتجرأ ويتكلم هكذا!!

لكن سرعان ما هدء روعي واطمئنت نفسي عندما تذكرت هذه الاية **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[75] بل والاية التي اشعرتني بالراحة اكثر **(إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)**[76] فلماذا اشتطت غضبا مع ان الله تعالى هو مهيئ الهداية لمن يستحقها من عباده

وبعد ما جرى رجعت لكي أرتشف من رحيق معارف تلك اللؤلؤة فغصت بداخلها حتى وصلت الى المرحلة الثالثة وقد قسمت الى ثلاثة مستويات المشارطة والمراقبة والمحاسبة واما المشارطة فهي تكون في اول اليوم حيث يخاطب الانسان نفسه ويشارطها على ان لا يرتكب اليوم اي عمل يخالف اوامر الله لمدة يوم

---

75 النور / ١١

76 النحل / ٣٧

واحد هو امر يسير وقد يوسوس لك الشيطان ليصعب عليك الامور ويصور الامر وكأنه صعب عسير ولكنه وهم عليك ان تخرجه من قلبك جرب ليوم واحد تعرف سهولته وأما المستوى الثاني فقد كان المراقبة ويأتي هذا المستوى بعد المشارطة فيبقى طول اليوم منتبها لتطبيق المشارطة فتعتبر نفسك ملزما بالعمل وفق ما شرطت فإذا حدثتك نفسك بارتكاب المعاصي فاعلم انه وسوسة الشيطان الذي يحاول استدراجك للمعصية فالعنه واستعذ بالله من شره وتذكر شرطك لهذا اليوم وخاطب نفسك:

اني شرطت على نفسي ان لا اقوم في هذا اليوم وهو يوم واحد بأي عمل يخالف امر الله تعالى وهو ولي نعمتي طوال عمري فقد انعم علي بالصحة والسلامة والامن وتلطف بألطاف اخرى ولو اني بقيت في خدمته الى الابد لما اديت حق واحدة منها أفلا افي بشرط بسيط كهذا؟!

وبعدما استشعرت لذة المشارطة والمراقبة اصبح لدي لهفة وشوق الى سبر اغوار المستوى الثالث

وهو المحاسبة[77] فاذا جاء الليل حان وقت المحاسبة فعليك أن تحاسب نفسك لترى هل أديت ما اشترطت على نفسك مع الله ولم تخن ولي نعمتك في هذا العهد البسيط؟

اذا كنت قد وفيت حقا فأشكر الله تعالى على هذا التوفيق وسيكون عمل الغد أيسر وأسهل عليك من سابقه فواظب عليه فترة حتى يتحول الى عادة مطبوعة في نفسك تقوم بها بشكل تلقائي وبكل سهولة وستحس حينها باللذة والأنس بطاعة الله تعالى

وترك معاصيه رغم أن هذا العالم ليس عالم الجزاء واذا وجدت لا سامح الله في اثناء المحاسبة تهاونا وفتورا تجاه ما اشترطت على نفسك فاستغفر الله

واطلب العفو منه واعزم على الوفاء بكل شجاعة بالمشارطة غدا وثابر على ذلك

واصبر حتى يفتح الله تعالى امامك ابواب التوفيق والسعادة ويوصلك الى صراط الكمال صراط محمد

---

[77] عن الامام الكاظم (ع) قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل خيرا استزاد الله منه وحمد الله عليه وان عمل شرا استغفر الله وتاب اليه / الاختصاص ص٢٦

وعلي(ص) كما فتحت هذه الابواب لكثير من عباد الله الصلحاء

الفصل التاسع:

مقام الملكوت

لما انتهيت من مقام الملك ونفائسه تاقت نفسي وبشدة أن أكمل هذا اليوم مع ان الوقت قد تأخر لكني رأيت ان الكلام في هذا المقام أهم من المقام السابق

فجنود النفس في هذا المقام أكثر من جنود السابق والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمانية والشيطانية أعظم ويمكن اعتبار هذا المقام

منبع جميع السعادات والتعاسات والدرجات والدركات ويجب الالتفات الى ان هزيمة الجنود الرحمانية في هذا المقام ربما يسفر عن الهلاك الدائم للانسان بشكل يستحيل معه الرجوع والتصحيح وينظر اليه أرحم الراحمين بعين الغضب

والسخط ويحرم شفاعة الشافعين بل يصبح

شفعاؤه خصماؤه وويل لمن كان شفيعه خصمه

ان الجنة وجهنم التي ورد وصفها في القرأن الكريم المقصود منها غالبا جزاء الاعمال

فالنار هي نار الاعمال والجنة هي جنتها ولكن الجزاء لا يختص بالاعمال فقط بل يشمل الاخلاق التي يتخلق

بها الانسان ايضا وهذه لها جنتها ونارها الخاصة بها وهي أهم وأكبر من السابقة

وهناك اشارات خفية في النصوص لتلك الجنان والنيران بالاضافة الى ذلك هناك جنة اللقاء ونار الفراق التي ورد الاشارة اليها

في النصوص ايضا وما قالوه بشأن جنة الاخلاق الحسنة وجهنم الاخلاق الرذيلة امور عظيمة ومصائب جمة لا يطيق الانسان حتى سماعها!!

يا الهي لقد شغلتني هذه السطور البراقة و كدت أنسى المواقع الثلاثة والاتي يعدن القوة الباطنية ومظهر الانسان في الاخرة فهن يمثلن قوى باطن النفس الوهمية والغضبية والشهوانية ولكل واحدة من هذه القوى الثلاث منافع كثيرة

من أجل حفظ النوع والشخص واعمار الدنيا والاخرة

فهذه القوى الثلاث هي منبع جميع الملكات الحسنة ولكن يجب التنبه الى انها منبع جميع الملكات السيئة ايضا

وبناء على هذه القوى الثلاث تتحد شخصية الانسان

وهويته الباطنية

ان الانسان صورة ملكية دنيوية ظاهرية خلقه الله تعالى عليها فجعله على احسن صورة

جيدة جميلة المنظر تبارك الله احسن الخالقين

وبالاضافة الى هذه الصورة توجد الصورة الملكوتية الغيبية الباطنية

التي تأخذ هيئتها بحسب الاخلاق والملكات

التي يتلبس بها الانسان وهذه الصور الباطنية هي التي يظهر بها الانسان بعد الموت

سواء في البرزخ او القيامة فاذا كانت خلقة الانسان في الباطن والملكة والسريرة انسانية تكون صورته حينها انسانية ايضا

وأما اذا كانت غير انسانية فتكون صورته غير انسانية ايضا ولكل واحدة من هذه القوى الباطنية الثلاث صورة خاصة

اذا لم يتحكم بها الانسان فاذا غلبت على باطنه ملكة الشهوة صارت صورته صورة بهيمية[78]

واذا غلبت ملكة الغضب صار بصورة الحيوان المفترس واذا غلب الوهم صارت صورته صورة احد الشياطين حسب ما يتناسب وتلك الصورة ومن الممكن احيانا ان تتركب الصورة الباطنية

من ملكتين او عدة ملكات فتتشكل له صورة غريبة مخفية ليس لها مثيل في العالم

وقد روي عن رسول الله (ص) ان بعض الناس يحشرون يوم القيامة على صورة تحسن عندها صورة القردة ويمكن ان يكون له أكثر من صورة وهيئة سيئة فليس بالضرورة في ذلك العالم ان يكون للانسان صورة واحدة كما كان في هذا العالم بل يمكن أن تتعدد صوره هناك

[78] قال امير المؤمنين (ع) ان الله ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كلتيهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم / وسائل الشيعة ج١٥ باب٩

وقد يتسائل البعض هنا ان الانسان قد تتغير اخلاقه في حياته فيمكن ان يصبح الصالح طالحا والطالح صالحا فأي صورة بها في الاخرة؟

والجواب عن ذلك السؤال أن صورته التي سيظهر بها في الاخرة هي الصورة التي تتناسب مع صفاته لحظة وفاته وتركه لهذه الدنيا وانتقاله لذلك العالم فكما تكون صورته الباطنية في تلك اللحظة

ينتقل الى البرزخ بتلك الصورة، وبعد ذلك نظرت الى السماء وتأملت بهذه الصور فتسائلت في خاطري

كيف تكون وظيفتي هل هي الافناء؟ ام السيطرة؟

اذا كان الوهم والغضب والشهوة يمكن ان توصل الانسان الى الغضب الالهي وتظهره في الاخرة

بمظهر البهيمية والعياذ بالله اذن هل المطلوب القضاء على الوهم والغضب والشهوة؟

فما عساي الا ان ابحث أكثر حتى أصل الى النتيجة المطلوبة

فبحثت وبحثت حتى وصلت الى ان المطلوب هو السيطرة لا الافناء

لان هذه القوى الثلاث يمكن ان تكون من الجنود الرحمانية وتؤدي الى سعادة الانسان وتوفيقه اذا سلمها للعقل السليم وجعلها ضمن ارشادات الانبياء العظام

وليس خافيا على احد ان الانبياء (ع)

لم يكبتوا الشهوة والغضب والوهم بصورة مطلقة ولم يطلب ذلك داعية على الاطلاق وانما قالوا:

يجب السيطرة عليها حتى تؤدي واجبا في ظل ميزان العقل وحكم الشرع فالمطلوب هو السيطرة

عليها والاستفادة منها دون افساح المجال لها للتجاوز والاسراف والظلم فهذه القوى لو تركت وشأنها ستحاول

ان تحصل على ما تريد ولو عن طريق الفساد والفوضى فالنفس البهيمية المنغمسة في الشهوة الجامحة تريد ان تحقق هدفها

ومقصودها ولو من خلال الزنا بالمحصنات في الكعبة والعياذ بالله والنفس الغضوب تريد ان تنجز ما تريد حتى ولو استلزم ذلك قتل الانبياء والاولياء

والنفس ذات الوهم الشيطاني تريد ان تؤدي عملها حتى لو استلزم ذلك الفساد في الارض وعلى هذا نفهم جيدا أن الانبياء (ع)

انما جاءوا بالشرائع وانزلت عليهم الكتب السماوية من أجل الحيلولة دون الانفلات والافراط

في الطبائع واخضاع النفس الانسانية وترويضها وتأديبها

وبينما انا أبحر في عالم المعاني سرح خيالي الى صور واحداث جرت مع اشخاص كثر

وصرت اقول انا في تلك اللحظة كنت كالبهيمة بسبب شدة غضبي الذي ليس له تلك الاهمية بل ليس لحق انما لسبب تافه بل احيانا اصل الى مرحلة السب والشتم[79]

[79] قال رسول الله (ص): سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة / الكافي ج٢ باب السباب

فانتبهت لنفسي لكن هذه المرة قد بان لي امر مهم وهو الخيال فإنه حتى في صلاتي يراودني ولا يدعني وشأني

لكن السؤال الاهم كيف يمكنني السيطرة على مخيلتي؟

رحت ابحث عن حل لتساؤلي حتى وصلت الى ان السيطرة على الخيال ليست بتلك الصعوبة

التي كنت اظنها باعتبار ان الخيال أشبه بالزئبق الذي يفر من الانسان كلما حاول ان يمسكه

ويأتي الشيطان

ليهول على الانسان ويعظم له الامور ليشعر الانسان بالعجز امام الخيال فيستسلم ويسقط أمامه والحقيقة ان السيطرة على الخيال أمر يسير مع المراقبة والحذر يمكن ان يصعب على الانسان السيطرة على خياله دفعة واحدة ولكن لا يصعب عليه السيطرة التدريجية

فيبدأ بالسيطرة على جزء من الخيال

ويراقب نفسه وينتبه جيدا فمتى ما أحس خياله يتوجه نحو هذا الامر يصرفه نحو امور اخرى مباحة

او محببه الى الله تعالى فاذا حصلت على نتيجة فاشكر الله تعالى على هذه النعمة وهذا التوفيق وأكمل السيطرة على هذا الخيال بهذا الاسلوب

التدريجي لعلك تهتدي الى صراط الانسانية

المستقيم ويسهل عليك مهمة السلوك اليه سبحانه وتعالى فالخيال هو من أهم المواقع الشيطانية

التي يتستر بها ابليس وجنوده فاذا سقط هذا الدرع وهذا المتراس فتأمل خيرا وأما معالجة المفاسد الاخلاقية كالسب والشتم والنظرة المحرمة وسؤ الخلق وبقية المفاسد فان الوقاية

من المفاسد الاخلاقية خير من العلاج واسهل ولكن اذا تلبست بالاخلاق الفاسدة فعليك ان تعاجل بالمعالجة ولا تسوف

لان هذه الاخلاق الرذيلة تتاصل فيك وتتغلب عليك بشكل تدريجي وعليك ان تتذكر ان العمر غير مضمون وان المشيئة تأتي من غير استئذان فمن يضمن العمر الى الغد

حتى يؤجل الاصلاح الى الغد ولو اطال الله عمرك

فيصعب الاصلاح ان لم تبادر الان لأن من شب على شيء شاب عليه فما دام في العمر بقية

وما دامت همة الشباب موجودة ابحث عن العلاج وتلمس دواء هذه الاخلاق الرذيلة لتطفئ ثائرة الشهوة

والغضب فتأخذها من يد الشيطان وأعوانه وتجعلها في ساحة الرحمن

وان افضل علاج لرفع هذه المفاسد الاخلاقية هو أن تأخذ كل واحدة من الصفات القبيحة والميول الفاسدة التي تراها في نفسك فتجتمع همتك وتعزم على مخالفتها وعمل عكس ما ترجوه وتطلبه وبالتدريج يحصل ترويض هذه النفس وكسر شوكة هذه الميول والسيطرة عليها ولا تنسى التوكل على الله وطلب التوفيق منه لاعانتك في هذا الجهاد ولا شك في ان هذا الخلق سيزول بعد فترة وجيزة ويفر الشيطان وجنوده من هذا الخندق وتحل محلهم الجنود الرحمانية وهناك مسألة مهمة مرتبطة بالغضب الا وهي أن غريزة الغضب من النعم الالهية التي يمكن بها عمارة الدنيا والاخرة وبها يتم الحفاظ على الفرد والجنس البشري

ولها تأثير كبير في ايجاد المدينة الفاضلة

ونظام المجتمع فلولا وجود هذه الغريزة الشريفة

في الحيوان لما قام بالدفاع عن نفسه

ضد هجمات الطبيعة ولآل أمره الى الفناء
والاضمحلال ولولا وجودها في الانسان لما استطاع
ان يصل الى كثير من مراتب تطوره وكمالاته

وان القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ
الحدود والتعزيرات وسائر التعاليم الدينية والعقلية لا
يكون الا في ظل القوة الغضبية الشريفة

وعلى ذلك فان الذين يظنون ان قتل غريزة الغضب
بالكامل واخماد انفاسها يعد من الكمالات والمعارج
النفسية انما يرتكبون خطيئة عظيمة ويغفلون عن حد
الكمال ومقام الاعتدال

الفصل العاشر:

مملكة النفس

بعدما خضت في سفينة افكاري بحار المعرفة غمرني شعورا غريبا حتى كبرت في نفسي عظمة الصانع وكيف أنه خلق هذا التعقيد المترابط لدى الانسان

فظلت تراودني افكارا كثيرةً بين الحين والآخر حول حقيقة النفس

وكيف ان لها مراتب كالنفس اللوامة والراضية والمرضية والامارة بالسوء والمطمئنة[80] وكذلك علمت ان لها مراتب اكثر

كالنفس الهلوعة والجزوعة والمنوعة وهذه الثلاثة الاخيرة هنّ نفوس تسافلية

فكلما بعد الانسان عن الله تعالى وكثرت معاصيه كلما تسافل في مراتب هذه الانفس من الامارة وما دونها وكلما ارتقى الانسان في جهاد نفسه وطلب القرب الالهي وازداد التزامه باوامر الله ونواهيه كلما ارتفعت نفسه

[80] (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر / ٢٧- ٢٨ – ٢٩- ٣٠

من اللوامة الى ما فوقها كالنفس الراضية والمرضية والمطمئنة

وكيف ان النفس قد الهمت على الفجور والتقوى[81] وان الانسان مخير بين اتباع احد السبيلين اما شاكرا واما كفورا

حتى وصل بي المطاف ذات يوم الى ان اتخيل جميع مسائل النفس بتراكيب صورية أتخيلها في ذهني وفي يوم من الايام اقتنيت أحد الكتب الروائية الذي يتضمن أحاديث أهل البيت (ع)

وعندما اطلعت على هذا الكتاب وقلبت صفحاته مستلهما العبر التي يحملها والفكر الذي ليس فيه شائبة وقعت عيني على ابيات من الشعر

لكنها سحرتني بمعانيها وعُلقت على جدار ذاكرتي كلما خلوت مع نفسي أتذكرها وأفكر في ماهية معانيها

فقمت بالبحث في تفسيرها لكن وجدت العديد من الاراء تشرح معناها

[81] (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) الشمس ٧-٨

فبقيت متحيرا في كنه حقيقتها بسبب ذلك

وفي احدى الليالي الهادئة استلقيت على السرير وكنت مجهدا من العبادة والتضرع الى الله تعالى وانا في تلك الحالة بين اليقضة والمنام

راودتني احلاما صغيرة فاستيقضت من النوم بسببها ثم عدت وعادت الي فتكررت هذه الحالة ثلاثة مرات

نهظت من السرير وتوجهت نحو الحمام غسلت وجهي وذكرت الله تعالى ثم عدت الى السرير وبينما استلقيت على السرير

راودتني تلك الابيات العجيبة[82] فشغلني التفكير بها عن النوم حتى سرحت في عالم معانيها فرأيت نفسي في ذلك العالم

علي رداء الملوك والتاج فوق رأسي مزين بالذهب والفضة وقد تناثرت عليه قطع من الياقوت الحمراء والزمرد البراق وكان الزي الذي ارتديه

---

[82] داؤك فيك وما تشعر ودوائك منك وما تبصر
وتحسب نفسك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
هذه الابيات نسبت الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع / جواهر المطالب في مناقب الامام علي ع / ٢٦٠ - ١٣٦

شبيه بزي قياصرة الرومان وكان لونه أحمر وفي جوانبه لون اسود كالشريط المطرز حوله

كنت جالسا على العرش الملكي الذي كان من الفضة المطلية بالذهب وقد عُلقت عليه الكثير من اللألئ الجميلة

والقصر كبير وهادء جدا وكانت قرب باب القصر نوافذ تحيط به وباب القصر في وجه العرش الذي اجلس عليه نظرت بتمعن الى ما وراء النافذة

لكي ارى ماذا يقبع خارج القصر حتى رأيت النجوم في ذلك الظلام من الليل كثيرة وبراقة

ورأيت الاشجار الكثيفة والكثيرة لكني شعرت بالخوف الشديد واقشعر بدني بسبب تلك الاصوات المخيفة بالخارج

انصت اليها فاذا بها مختلفة بعض الاصوات قرع طبول وكأن محفل اقيم بالخارج وبعض الاصوات

عواء ذئاب وصراخ وضحك

شغلتني تلك الاصوات عن نفسي حتى سمعت هذه المرة صوت ضربات الارجل في الارض تسير نحوي من الخلف وتقترب مني اكثر فاكثر شعرت بالرعب ولم اتجرأ على الالتفات الى الخلف حتى سمعت ضربات قلبي تخفق بقوة وتنفسي اصبح اصعب من شدة الخوف فلا اعلم اين انا وما هذا المكان وما تلك الاصوات الغريبة

لكن سرعان ما تمالكت نفسي وسيطرت على مشاعري المضطربة فعزمت على الالتفات واخيرا التفت الى الخلف واذا بي ارى رجلا شديد البياض وكانت عليه من الهيبة والوقار ما يعجز العقل عن وصفها فقد شغلتني طلته البهية عن نفسي وكيف ان ذلك الرداء الابيض الذي يرتديه يتلألأ بريقا ولمعان كأنه رداء الملوك وكيف ان شعره الطويل يتدلى على كتفه متصلا بلحيته الكثيفة وقد اشتعلا شيبا لكن اي شيب هذا الذي اراه

لقد كان شديد البياض والصفاء دنى الي ووقف امامي رفعت رأسي نحو وجهه فقد كان طويل القامة بادرني بالتحية والسلام وقال:

- مرحبا بجلالة الملك فقلت له:
- من انت؟
- انا وزيرك يا ملكي المبجل
- وما اسمك يا وزيري؟
- اسمي الخير وأنا وزير عقلك جلالة الملك
- اهلا بك يا وزيري اذن هل لي بطرح سؤالين عليك
- بكل سرور جلالتك فكلي اذان صاغية
- أين انا؟ وماذا يحدث في الخارج وسط هذا الليل المظلم؟
- انت في عالم نفسك المنطوي فيك وأنت حبيس هذا العالم الكبير والرعية في مدن هذا العالم رعيتك وأما بخصوص الاصوات انما هي لرعيتك

في كل ليلة يضج هذا العالم بالصخب وانت الذي سمحت لرعيتك الساكنة في هذه المدن العملاقة بالتمرد والفساد

تعجبت من كلامه كثيرا وقلت له:

- اذن هل لي بجولة في عالمي هذا لاشاهده
- نعم يا جلالة الملك فهذا العالم عالمك لكن الافضل لسلامتك ان تفعلها في الصباح ذلك أأمن لك

- ماذا تقول ألست انا الملك!!
- انت كذلك لكن انت نفسك يا جلالة الملك من افسح المجال للرعية فتمردوا وأفسدوا

ولما حل الصباح اخترقت اشعة الشمس نوافذ القصر فكان منظرا خلابا وساحرا قمت من مكاني و ناديت أين انت يا وزيري

فاتاني بتلك الهيبة والسكينة والوقار صار أمامي وقال امرك يا جلالة الملك فقلت له:

- لنشد الرحال ونسافر حتى نجوب جميع مدن نفسي من مدينة الى اخرى قال:
- امرك مطاع جلالة الملك فجنودك ينتظرون في حديقة القصر قد امتطوا صهوات جيادهم

ماذا يقول احقا لدي جنود؟ نعم نعم لقد تذكرت انهم جنود الرحمان مع العقل الذي علمته مسبقا قلت للوزير:

- فالنخرج اليهم وننطلق في رحلتنا

فخرجنا وقد رأيت الجند يمتطون تلك الجياد الجميلة وكانوا يرتدون لباس الحرب حيث كان ردائهم مدجج

بالدروع الحديدية ولا ارى من وجوههم سوى عيونهم بسبب تلك الخوذ الحديدية التي غطت رؤسهم وكانوا يحملون تروسا حديدية مدورة ولما اقتربت منهم القوا علي التحية

وتقدم أحدهم نحوي بفرس أبيض جميل وقد دُرّع بالصفائح النحاسية فنزل منه ثم قال الوزير:

- هذا فرس جلالتكم

فركبت عليه وانطلقنا وكان الوزير بجانبي راكبا فرسه الاسود وخلفنا الجنود والذين كان عددهم اربعة وسبعين جنديا وبينما نحن نسير مررنا بغابة عظيمة ذات اشجار طويلة وكثيفة حتى سرنا وسطها فرأيت منظرا

اذهلني الحيوانات في هذه الغابة قد اجتمعت حولي وتحدق بي فقلت للوزير:

- يا وزيري لماذا هذه الحيوانات تنظر الي هكذا قال:
- هي ضمن عالمك
- وكيف ذلك؟

- الم تعلم جلالتك أن الله تعالى قد جعل للبشر العاصين ومرتكبي الكبائر صور غيبية حيوانية تُجسّد أشكالها فيه فيكون بهيئتها وان غالبية الناس يرونه على صورته الآدمية لكن الله تعالى وأنبيائه والراسخون في العلم والذين امتحن الله قلوبهم للايمان يرونه في كلا صورتيه اما اذا كان الانسان مؤمنا غير مقترف للكبائر تكون صورته آدمية فان انت ارتكبت احدى الكبائر تكون صورتك كأحد هذه الحيوانات لان بفعلك ذلك هبطت من مقام الانسانية الى مقام البهيمية والمفروض هو ان ترتقي الى مقام الملائكة وافضل منها

قلت له:

- نعم يا وزيري لقد تذكرت كان لي اطلاعا بهذا الامر

وبعد كلامنا هذا اكملنا مسيرنا حتى وصلنا الى نهر صفائه كصفاء السماء الزرقاء فنزلنا من على ظهور جيادنا وشربنا من هذا النهر لكن اي عذوبة كانت عذوبته فقد انعشتنا وانستنا تعب الطريق وبعدما انتهينا

من الاستسقاء اكملنا رحلتنا وأخيرا خرجنا من الغابة فرأينا تلا من الصخور الكبيرة سرنا نحوه وصعدنا فوقه لكن بعد عسر وجهد ولما وقفنا فوقه

وقعت عيني على مشهد لم ارى مثله قط في حياتي فتعجبت لذلك المنظر فالتفت الى الوزير وقلت له:

- ما هذا السور العظيم المدور الذي امامنا؟! قال:
- هذا السور الحصين الذي تراه هو لمدينة يحيط بها وانت من بنيت هذا السور وحصنت المدينة لكي لا تدخلها العفة

نظرت اليه باستغراب ودهشة وقلت له:

- ماذا تقول يا وزيري وكيف هذا؟
- هذه المدينة اسمها الشهوة وأنت كلما ارتكبت معصية شهوانية يقوى سورها المحيط بها ويكبر شيئا فشيئا
- يا ويلي اذن هذا الحصن العملاق انا من صنعته وقويته يا وزيري ما هو الحل برأيك وكيف اتخلص منه؟
- ما عليك الا اقتحام هذا الحصن ومحاربة من يقبع خلفه وهناك يكون الجهاد الاكبر

- هل نستطيع الدخول اليها ونطلع عليها وبعد ذلك نحارب سكانها
- نعم يا جلالة الملك فهذه المملكة وان خرجت من سيطرتك لكنها تبقى مملكتك ولك فيها بعض السلطة

وبعد هذا الحوار توجهنا الى مدينة الشهوة العملاقة والمحصنة حتى وصلنا الى بابها وقد ملئ حرسا شديدا فتقدم الوزير اليهم وخاطبهم قائلا:

- هذا موكب الملك وجلالته يريد ان يدخل الى المدينة فما كان جوابهم الا ان رفضوا ولم يسمحوا لنا بالدخول ولكن الوزير لم يمل منهم فطال الحوار بينهم حتى سمحوا اخيرا لنا بالدخول

الفصل الحادي عشر:

مدينة الشهوة

يا الهي ماذا ارى!!

شعرت بالغثيان على ما شاهدت من صور قبيحة نتنة

منظرا قد افزعني نساء ورجال يمارسون الرذيلة والفحشاء في شوارع المدينة وقد امتلأت المدينة

بهم وكأنه محفل تعري وفعل المنكر والذي آذني واشعرني بالخنقة في صدري ريحهم النتنة

ولا اكاد اقوى على التنفس بسببها فانقلب لوني ونخرت قواي

صحت بالوزير ماذا ارى؟

وماذا يجري هنا؟ لقد اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء[83]

والرجال بالنساء يا وزيري هل تشاهد ما اشاهده؟

قال لي:

[83] وردت هذه العبارة في حديث طويل واراد بها المعصوم اللواط والسحاق / بحار الانوار ج٥٢ ص١٩٢

- نعم اني ارى واعلم بما يجري بل سترى جماعة يتلاقون الشعر الفاحش فيما بينهم وآخرون يكتبون ويقرأون القصص الجنسية
وآخرون مزاحهم بالكلام والافعال الشهوانية
فبالنهاية يا جلالة الملك اسمها مدينة الشهوة وهي في مملكة نفسك والخيار بيدك اما تعمرها بشرع الله ودينه
واما تجعلها نتنة خاوية كما هي عليه الان فهذا نتاج ما صنعته انت جلالتك من فساد وهتك حرمات وحدود الله واما اذا اردت ان تطهر مدينتك من هذا الدنس فها هي امامك وهؤلاء جندك وطوع امرك
اذن استعن بالله وجاهد جنود ابليس ما استطعت وتوسل بالحي الذي لا يموت عسى ان يمن عليك بالقوة والعزيمة والصبر

ولما اكمل الوزير حديثه عزمت على ان أقضي على شهواتي المحرمة وأحيي هذه المدينة الخربة والميتة فقلت للوزير:

- نحن متعبين من طول السفر ابلغ الجنود ان اليوم استراحة وغدا نشرع بالجهاد الاكبر

فذهبنا واسترحنا ولما حل الليل جائني شعورا بالاحباط واليأس فأنا ضعيف كيف يمكنني تحرير عالم نفسي وضلت تراودني الافكار الى وقت متأخر من الليل فقلت في خاطري لابد علي من التكلم مع الوزير بهذا الامر عسى ان يرشدني ويقوي من عزيمتي فارسلت بطلبه ولما وصل قال:

- تحت أمرك جلالة الملك قالوا انك طلبتني قلت له:
- نعم يا وزيري لقد ارسلت بطلبك لكي احدثك بشأني
- كلي اذان صاغية جلالتك
- ايها الوزير منذ دخولي الى هذه المدينة وبسبب ما رأيته من المشاهد حدث في عزيمتي انكسار وضعف وصارت تراودني الافكار بين الحين والاخر باننني لن استطيع التغلب على اهواء نفسي وميولاتها
- يا جلالة الملك سوف اقول لك بعض الكلمات وتأملها جيدا يجب عليك ان تغتنم الفرص فانها تمر مر السحاب وقد يفوتك غيثها ونداها وهناك يحل عليك

الخسران فقد تكون لديك فرص معدودة لكي تسيطر على ميولاتك وشهواتك وانفعالاتك فالحذر الحذر من تضييع تلك الفرص وها انت الان قد رزقك الله فرصة تكفر بها ما سلف من افعالك فلا تضيعها واغتنمها حتى تربح نصيب السعداء والفائزين

كان كلام الوزي بمثابة جرعة ارتشفتها وسارت في عروقي فحملتني الى شعور تعجز الكلمات عن وصفه كأن كلماته فتحت باباً موصدا في عقلي حيث تدفقت المعاني في خاطري واشعرتني بقوة لم اتخيلها يوما

حل الصباح فتهيئنا واعددنا العدة لقتال هؤلاء الشياطين فحملنا سيوفنا على عواتقنا وبدأت الحرب

مضت أيام ونحن نقاتل يوما نغلبهم ويوما يغلبونا لكن الذي ادهشني أثناء الجهاد ان قوتنا تخالف عددنا فعددنا قليل وقوتنا وصلابتنا كبيرة جدا

وكلما تراجعنا في معاركنا معهم خطرت في ذهني خطط جديدة[84] فينفتح من خلالها طرق عديدة تمكنني من التقدم أكثر فاكثر

[84] (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) / العنكبوت ٦٩

وفي نهاية المطاف انتهت الحرب ولكني لم استطع ان اصف السعادة والارتياح اللذان شعرت بهما مع اني منهك من الجهاد لكن لذة الانتصار

بعد هذه الحرب الطاحنة انستني الامي و جراحي وذلك التعب وحل محله النشاط والقوة

وبعد مرور أيام من الانتصار عمرنا المدينة انا وجندي وأصبحت مشرقة ورائحتها زكية تأخذ النفس الى عالم الطمأنينة والسلام وبينما انا كذلك

رايت مجاميع من الناس حاملين أمتعة قد دخلوا المدينة فنظرت الى الوزير بإستغراب وقلت له:

- من هؤلاء؟ فقال:
- هؤلاء غير مذنبين كانوا يعيشون في هذه المدينة ويطلق عليهم مسمى العفة ولكن عندما تركت عالم نفسك الكبير تائه لهواه حلت به جنود ابليس وفعلت ما فعلت من قتل واضطهاد لهؤلاء القوم فهربوا من هذه المدينة

وحلت محلهم الشياطين المتمثلة بتلك الاقوام الفاسدة والذين يطلق عليهم مسمى الفجور

ولما انتهى من كلامه شاهدتهم يدخلون الى البيوت مسرورين لانهم رجعوا الى ديارهم والذي سحرني فيهم جمالهم

ورائحتهم التي تأسر النفس بعبقها وعبيرها وعطرها الفواح وبعد مرور ايام شاهدت منظرا عجيبا في هذه المدينة فقد رأيت العفة والحياء التي يمتلكها هؤلاء القوم لا توصف فخاطبت الوزير قائلا:

-اخبر السكان ان ملكهم راحل في صبيحة غد ليكمل ما بدأه باذن الله

ذهب الوزير اليهم وما ان بلغهم حتى سمعت اصوات خارج القصر الذي جلست فيه وكان في وسط المدينة حيث اخبرني الوزير ان لي في كل مدينة قصر يكون في وسطها

انصت لتلك الاصوات فكانت هتافات مبارك لك يا ملكنا لقد حررت اكبر مدن عالم نفسك ويكررون نفس الهتاف باستمرار

خرجت لهم ووقفت على شرفة القصر المطلة على ساحته الكبيرة المفتوحة على المدينة وشكرتهم على تهنئتهم ومباركتهم لي

ولما حل الصباح في اليوم التالي شددنا الرحال حتى نكمل رحلتنا الجهادية وبينما نتهيئ للرحيل قال لي الوزير:

- يا جلالة الملك لابد لك من ابقاء بعض الجنود هنا والذين يسمون بجنود الصبر[85] والبالغ عددهم عشرة جنود فقلت له:
- ولماذا؟
- لانه لا مأمن من الشياطين فقد ترجع الى المدينة وتصير مدينتك خربة مرة أخرى وهؤلاء الجنود يشكلون الدرع الحصين والرادع لهم
- بارك الله بك يا وزيري والحمد لله عندما جعل العقل وزيرا يرشدني في مسيرتي الجهادية في

[85] قال الامام الصادق (ع) : الصبر صبران فالصبر عند المصيبة حسن جميل وأفضل من ذلك الصبر عمى حرم الله عز وجل ليكون لك حاجز / الوافي ج٣ ص٦٥

هذه الدنيا حتى اصل الى النجاح في الاختبار الدنيوي

ابقيت جنود الصبر في المدينة وانطلقنا نكمل مسيرتنا الجهادية لكي احكم قبضتي على عالم نفسي واسيطر على اهوائها وميولاتها

نزلنا وديانا وصعدنا تلالا وقد طال السفر بنا كثيرا فقد كان ذلك العالم كبير واشتد حالنا بسبب الجوع والعطش فالطعام والشراب نفذا وبينما نسير في تلك الصحراء القاحلة وجدت صخرة كبيرة وبجانبها حفرة عظيمة ينبعث من هذه الحفرة رائحة كريهة

نظرت الى الوزير ونظر الي فبادرني الكلام كانه علم باني اريد ان استفهم عن هذه الحفرة فقال:

- هذه الحفرة تسمى العجب وان الله تعالى عندما خلق الانسان على الفطرة السليمة كانت هذه الحفرة مغلقة بهذه الصخرة الكبيرة وما ان يحدث في النفس عجب حتى تزاح هذه الصخرة بل ان البشر كلهم قد خلقوا وفطروا على الصفاء الداخلي لكن سرعان ما تغير بيئة الانسان التي ترعرع

فيها فطرته السليمة وتسلخه عنها بسبب قبوله وجهله

قلت له:

- اذن ايها الوزير ما هذه الرائحة المنبعثة منها؟ فانها كريهة جدا
- هذه الرائحة ازدادت هذه الايام عندما ملكت مدينة الشهوة فقد كبر عجبك بنفسك حتى فاحت هذه الرائحة الكريهة
- صدقت يا وزيري فعندما انتصرنا اعترتني هالة من العجب اذن ما هو الحل وكيف نغلق هذه الحفرة كما كانت عليه من قبل
- اقترح يا جلالة الملك ان نستريح قليلا من أعباء السفر وان شاء الله غدا نحاول دفع هذه الصخرة
- كما تقول يا وزيري فنحن متعبون كثيرا

استرحنا الى ان حل الليل وفي تلك الليلة الظلماء صرت اتحدث مع نفسي واقول كيف سنحرك هذه الصخرة فانها كبيرة جدا فلو اجتمع عليها الف شخص ما حركوها ذراع

حزنت لهاذا الامر كثيرا أوهل حقا يصعب حبس العجب وكتمه الى هذا الحد؟! لا لا اعتقد بل ان كتمه سهل يا لك من ابله عن اي سهولة تتحدث فعلا عن اي سهولة اتحدث وانا الذي ابحث عن المدح في اعمالي بل ان اغلب اعمالي الخيرية وان كنت في الحقيقة احاول التستر عليها لكن الواقع والصدق في قرارة نفسي يوجد عجب حتى في التكتم باني ما شاء الله قد عملت هذا العمل ولا احد يعرف به سوى الله وكيف اني ساعدت ذلك الفقير عندما كان يحتاج المعونة في عيادة ابنه المريض وعندما ساعدت العائلة المسكينة الذي كان رب الاسرة مقعد واشتريت له الكرسي الكهربائي المتحرك والكثير من تلك الاعمال كان فيها خيط من العجب فعن اي سهولة اتحدث وانا اختلق الاعذار لي يا لها من عجيبة هذه الانا تحرق نفسها بنفسها مع اختلاق الاعذار المزيفة وتصيرها حقيقة في نفس الوقت وكيف لي ان اعرف هذا الامر الذي وصلني عنه رأس الخيط وبينما انا في هذا الخضم من التخبطات العقلية انتبهت لنفسي ووبختها

اوليس الله تعالى يعين وينصر الذين يجاهدون انفسهم في سبيله اذن ما شأني واليأس من هذا الامر

ولما حل الصباح واستيقضنا توجهنا الى صوب الصخرة دفعنا ودفعنا لكنها لم تتحرك فقلت ان النبي محمد وآله الاطهار (ع) هم عون لنا في الدنيا وشفعاء لنا في الاخرة فلماذا لا اتوسل لله بهم طالبا بذلك العون

هويت على الارض وكانت رمال تلك الصحراء حارقة من شدة الحر ما ان وضعت وجهي على تلك الرمال حتى لسع لكني تحملت الحرارة ولم ارفعه وصرت اتضرع وادعو الله بحق عترة نبيه ان يمكنني من حفرة العجب وأغلاقها

وبينما ادعو واتضرع والرمال تشرب دموعي بسرعة شعرت بقوة عظيمة ما شعرت بها من قبل فقمت من مكاني وتوجهت نحو الصخرة ودفعتها بمفردي فتحركت وأغلقت نصف الحفرة حتى انهارت قواي

والجميع ينظر بدهشة واستغراب ويتسائلون فيما بينهم

كيف فعل هذا وجميعنا لم نحركها قدم واحدة

وفي الاثناء حزنت كثيرا وصرت اتسائل في خاطرتي لماذا لم تغلق الحفرة بالكامل؟

سألت وزيري قائلا:

- هل هناك من حل يساعدني على غلق هذه الحفرة بالكامل؟ قال لي:
- نعم يوجد

فلما قال هكذا سررت كثيرا وتشوقت لمعرفة هذا الحل فقلت له:

- كيف؟
- صلاة الليل يا جلالة الملك فإنها اكبر عامل مساعد على ابعاد العجب من قلب المؤمن فما عليك الا ان تشرع بها وسوف ترجع تلك القوة التي حركت بها نصف الصخرة
- لكني اصلي صلاة الليل
- اجل ولكنك غير ملتزم بها فجلالتك متقلب في صلاة الليل ايام تصلي وايام تترك بسبب النوم او التعب وغيرها من الحجج التي كنت تقنع نفسك بها وحتى الفترات التي تلتزم بها تكون صلاتك

ميتة بدون روح لا خشوع فيها ولا حضور قلب بل عندما تبتدأ بها تنتظر بفارغ الصبر متى تنتهي

- صدقت يا وزيري اعدك على ان التزم بها
- اتعلم جلالتك كم العظمة التي جعلها الله في صلاة الليل اتعلم يا جلالة الملك ما **كان فيما ناجى اللَّه بِه موسى بن عمران (عليه السَّلام) أن قال له : يا ابن عمران : كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، ها انا يا ابن عمران مطلع على احبابي إذا جنهم الليل حولت ابصارهم في قلوبهم ، ومثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة،ويكلموني عن الحضور .**

يا ابن عمران : هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينيك الدموع ، وادعوني في ظلم الليل ، فانك تجدني قريبا مجيبا[86] فان الله تعالى قد اوصى انبياءه بصلاة الليل لما فيها من عظمة بل انه اخفى ثوابها لعظيم شأنها فالتزم بها يا جلالة الملك وادعو الله فانه قريب مجيب

[86] وسائل الشيعة

- شكرا لك يا وزيري على هذه الدرر ان شاء الله سالتزم بها

ولما جن الليل عمرته بالقيام ودعوت الله بان يمد لي يد العون واني اعاهده على الالتزام بصلاة الليل وان لا افرط فيها

ما ان قمت من مكاني متوجها الى الصخة فحركتها حتى تحركت واخيرا اغلقت الحفرة

أكملنا مسيرنا في ذلك العالم العظيم ومرت ايام وليالي ونحن نجوب المدن والاماكن الغريبة في عالم النفس حتى اني في احدى الليالي سمعت اصواتا ترتطم بمسامعي لكن مصدرها بعيد كانها موجات حلقية تتبعث قوية وتصل الي خفيفة

انصتُّ اليها بهدوء تام علني افهم ما تحمله من كلمات

ما ان فعلت ذلك حتى وجدت ان الاصوات ذات رسائل مختلفة فصوت يقول: انه كذاب وقد كذب عليك لكي لا تحاسبه على ما فعل؟! وصوت يتحسر آه لماذا ضيعت عمري ووقتي في تلك الامور التافهة؟! وآخر يقول:

كم احب ذلك الشخص فقد كان لطيف وودود معي؟

وصوت يقول بصرخات: سوف أقتله ذلك المتعجرف الانانـي فقد اهانني وحط من كرامتي أمام الحاضرين ذلك اليوم؟! وآخر يقول:

لماذا ينظر الي ذلك الرجل بتلك النظرات يا له من غريب الاطوار؟!

وآخر يقول: ليتني احرق نفسي فقد ساعدني هذا الرجل كثيرا بحياتي ووقف بجانبي في محني وجزاءه ان أسخر منه امام اصدقائي واجعل منه اضحوكة

وبينما انا كذلك استمع لتلك الاصوات الغريبة طرأ علي التوتر والخوف من تلك الاصوات الخاطفة

فنظرت الى الوزير وقلت له:

- ما هذه الاصوات وأين مصدرها؟ فخاطبني بذلك الهدوء المصاحب له على الدوام قائلا:
- انها اصوات تفكيرك وهواجسك الكائنة في داخلك والمتغيرة بتغير مشاعرك ومواقفك الحاصلة نتيجة حياتك اليومية في مجتمعك وبيئتك وتصدر من انفعالاتك النفسية ومن عقلك وتكون على نمط

اسلوب تفكيرك الناتج من تجاربك وفهمك للحياة والدين والطبيعة التي تعيش فيها

فقلت له وانا اتحرق شوقا لرؤية ذلك المكان ومعرفة ما يضمره:

- لنذهب الى مصدر تلك الاصوات يا وزيري
- بكل سرور جلالة الملك

فتوجهنا نحو مصدر تلك الاصوات وكلما اقتربنا اشتدت قوة الاصوات وكثرت معانيها حتى وقعت عيني على كهف في جبل عظيم فاقشعر بدني

لذلك المنظر حيث تلك الثغرة المظلمة في ذاك الجبل الذي كانت صخورة كالكاربون فقد كان لون الجبل رمادي مائل الى السواد وبينما نقترب من الكهف ونسير على تلك الارض الصلدة والصلبة انتابني شعور بالخوف

بسبب تلك الاصوات والصرخات الغريبة

اخيرا دخلنا في ذلك الكهف الذي لا نرى ايدينا فيه من شدة الظلام الدامس صحت بجنودي قائلا:

- فالنسير على مهل ولننتبه لخطواتنا

فسرنا ونحن نتلمس بجدران الكهف حتى علمنا اننا نسير بممر ضيق وكلما نسير اكثر تشتد تلك الاصوات شيئا فشيئا واذا بي ارى نورا منبعث من اسفل باب خشبي وكأن خلفه غرفة فتوجهنا نحو ذلك الباب ثم فتحناه واذا بي اصعق لما ارى امامي فتجمدت بمكاني وفزعت على ذلك المشهد يا الهي كيف حدث هذا انهما انا لكن كيف؟

اثنين مني في هذه الغرفة ادهشت وتعجبت لهذا المشهد الغريب فقد رأيت اثنان يشبهونني بل هما انا نسختي ولكن واحد منهما على هيئة طيف والاخر هيئته طبيعية اما الطيف فقد كان معلقا في الهواء خلف الطبيعي صاحب البدن المادي فكان الطبيعي ينظر الى مرآة كبيرة أمامه ويصرخ على نفسه بغضب شديد فقد كانت هيئته ثائرة بينما الطيف كان ينظر الى هذا الغاضب ويقول له:

- لماذا فعلت ذلك الامر؟ وكيف تجرأت على هكذا فعل

فقد كان يوبخه ويلومه باستمرار وما عسى الغاضب الا ان يصرخ ويضرب بنفسه

اذهلني ذلك المشهد كثيرا فنظرت الى الوزير وقلت له:

- ما الذي يجري هنا ومن هؤلاء اللذان هم انا؟!

فقال:

- يا جلالة الملك هذا الجبل اسمه الضمير وهذه الغرفة هي قلب ذلك الجبل وقد تمثل ضميرك بالطيف المسمى النفس اللوامة فهو يلومك ويوبخك على خطاياك التي ارتكبتها وترتكبها واما العصبي فهو جانبك الاخر الذي يتأثر ويتبصر حقيقة الخطاء الذي ارتكبته فالقلب لا بد له من البصيرة والتبصر

وبعد هذا المشهد توالت الاحداث واستمر الجهاد وقد حررت جميع المدن في عالم نفسي الكبير حتى وصلت الى المرحلة الاخيرة وفيها حطمت صنم نفسي والانا وذلك الكيان الوهمي الذي صنعته بداخلي حيث قيدت حقيقتي ووضعتها بداخله، الان وقد تحررت من قيود الدنيا والشياطين ونفسي وفتحت امامي أبواب البصيرة

والحقيقة في ذلك العالم الروحي حتى غمرت بسعادة ولذة لو اجتمعت جميع لذائذ الدنيا ما عدلت جزء الجزء منها

فهي لذة القرب من الله تعالى وما أطيبها واجملها من لذة تفيض حلاوة الانس في الخلوات وجميع الاوقات

كأنني في الجنة مع اني في الدنيا كبقية بني البشر

حتى صرت مصداق ذلك المعنى الذي يمثل سعد السعود وفوز الفائزين

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) [87]

[87] النساء / ٥٧

النهاية

الفهرس

المقدمة.....٤
الفصل الاول : الشرارات الثلاث ٨
الفصل الثاني : عناء ومشقة..... ٢١
الفصل الثالث : بذور المعرفة ٣٥
الفصل الرابع : أهواء وميول ٤٩
الفصل الخامس : ريح نتنة ٧٢
الفصل السادس : اللقاء الأخير..... ٨٧
الفصل السابع : سر مكنون ١٠٦
الفصل الثامن : نور اللولؤة ١١٧
الفصل التاسع : مقام الملكوت ١٣٦
الفصل العاشر : مملكة النفس ١٤٨
الفصل الحادي عشر : مدينة الشهوة ١٦٠